

الثقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق



الثقافة

أخبار

١٩٧٦

ملحق العدد ٢٤

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق - ص ٥٠ ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

صاحبها و
تحريرها
م. م. م. م.

MADHAT KAL

shiaabooks.net

رابط بديلا < mktba.net

سكت الهزار

بقلم :

لقد مات أمين نخلة .. ورحل عن دنيا الناس البغيضة ...
مات أمين نخلة وسكت الهزار وتمزقت تلك الاوتار الذهبية التي
غنت أروع آيات الفن الرفيع وطافت في عوالم انسانية مرتادة
شواطئ الحب ودفقات الوجدان ونبضات الاحساس الدفين بشكل
جديد أنيق مترف ، وبوح أخذ أصيل احتل مكانم الاسرار
ومواطن الاعجاب لدى عشاق الفن العربي الاصيل .

لقد غفت عينا أمين نخلة اللتان سبرت أغوار الكـ
وأجواءه ، وتوقفت نبضات قلب أمين نخلة الذي احترق حبا وذاب
وحدا وهام حنيا وانطلاقا ، و انطلقت روحه الى الاعلى ، وضم
التراب جيدا فانيا ... ولكننا كيف التفتنا نجد أماننا أمين نخلة
.. في رؤانا .. في سبحاتنا .. في أمياتنا .. في أغاريدنا
.. يهمس من دفتر غزله ، ويغني من منفاه ، ويرقص في موجاته
القصيرة نغما عربيا أصيلا ، وموسما خصبيا مليئا ، ولحنا متميزا
خالدا .

فاجمتنا كبيرة ... وخسارتنا فادحة .. وعزاؤنا في تراثه
الخالد وبأنا جميعا لله وبأنا اليه راجعون .

رئيس التحرير

الثقافة

يدل اهتمام المجتمعات المعاصرة بالثقافة على الاعتراف الصريح بها ، وبمكانتها من حياة الانسان المعاصر . ولقد مضى الزمن الذي كان ينظر فيه الى الثقافة على انها ترف مقصور على اصحاب الحياة العريضة ، وعلى الذين أتبع لهم أن يتزودوا من التعليم النظامي بمؤسساته التقليدية بقدر يمكنهم من توجيه الحياة في ميثاقهم الاجتماعية . ولقد أصبح مفهوم الثقافة اليوم يستوعب جميع المعارف والخبرات والمهارات التي يحصلها الفرد بمختلف وسائل التحصيل . كالمحاكاة والتجربة والخطا ، والتعليق المباشر، والاحتكاك اليومي بالعياة والاحياء الى جانب مايتاح للمره أن يحصله من المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من المنظمات التعليمية والتربوية .

وهذا المفهوم الواقعي للثقافة هو الذي ميزها ودفع الى العناية بها لما لها من التأثير القوي على الافراد والوحدات الاجتماعية في اطار الامة أو الدولة أو القومية ، بل هذا هو السبب من أن تحتل الثقافة مكانة بارزة بين المؤسسات الدولية لما لها من مقومات تجعل الناس يتقاربون من عصر أصبحت اللحظة فيه عالمية ، وجعلت وسائل المواصلات كوكبنا الارضي تتقارب فيه القارات على نحو لم يسبق له مثيل حتى في الخيال الاسطوري .

ونحن من الوطن العربي قد اعترفنا بالثقافة ومكانتها من حياة الفرد والجماعة وجعلنا لها المرافق الخاصة بها ، ولم ينقص من قيمة هذا الاعتراف وصل الثقافة بالترشيد حيناً وبالاعلام حيناً اخر . ولكننا ، ونحن نواجه وظيفة الثقافة وتأثيرها من الافراد والجماعات مطالبون بأن نفرق بين أوعية الثقافة وأجهزتها من جهة وبين موادها وعناصرها من جهة أخرى ، فالساحة والمنصة والمسرح والكتابات والاذاعتين المسموعة والمثوية والسينما والخيالة ، كل أولئك أوعية وأجهزة ، أما الثقافة فهي المواد التي تحمل المعرفة والخبرة والمهارة ، وتنقلها بين الافراد والوحدات الاجتماعية عبر الزمان وعبر المكان . ولا بد لنا من التنبيه أيضاً بأن قدرة هذا الوعاء أو ذلك الجهاز على البث أو الاستقبال والارسال لا يجعله مادة ثقافية ، وبهذا تصورتنا مكانه من الترشيح أو الاعلام فان ذلك لا يحول بينه وبين حمل المادة الثقافية ونقلها ، كما يقوم الوعاء بهذا المهمة في الحياة المادية .

وهناك امر اخر . نرى لزماً علينا أن ننبه اليه أيضاً، هو أننا اعتدنا أن نصف النشاط الانساني على أساسين هما الانتاج والخدمات ، ووضعتنا الثقافة في مجال الخدمات بيد أن هذا التصنيف انما يقوم على التيسير ، لا على المواجهة الواقعية لوجوه النشاط الانساني ، ذلك لان

الثقافة والنظام السلوقي

الدكتور عبد الحليم يوسف

ولما كنا نعيش في مرحلة ، يتحتم علينا أن نتحكم فيها الى العلم ، فقد أخذت الهيئة الاجتماعية بالتعطيل وبوضع البرامج المكافئة لمراحل الخطة العامة . وطلبت هذا المنهج على الثقافة الجماهيرية تطبيقا على مرافق الثقافة الأخرى ، واقتصادا ذلك أن تجعل الثقافة الجماهيرية تساهل التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتعين على استيعاب الجديد والتخلص من الجاسد وتطوير الصالح للطور في مواد الثقافة المختلفة ، كما أن طبيعة الثقافة الجماهيرية فرضت على الخطة أن تتخذ طريقين متكاملين :

● **الاول :** يعني بالاشكال الثقافية أو بعبارة أخرى بوجوده النضال الثقافي المختلفة كالسرح والخيالة - السينما - والفنون الشعبية والتشكيلية والموسيقى والمكتبات والندوات ، مع العناية الخاصة بثقافة الطفل باعتبار الطفولة هي المرحلة الاولى للثقافة الجماهيرية .

● **والثاني :** يقوم على رعاية الثقافة وبثها في قطاعات الشعب المختلفة وبنياته ، والاهتمام بالوحدات المحلية الخاصة بالاستقبال والاشماع ، مع العناية بأجهزة البيت الثقافي ووسائل الاتصال كالفنون الثقافية والمكتبات المنتقلة والعمل الموصول على نشر المواد الثقافية بالامان الثانية ومواقع التكاثر الكافي الطارئ كالمصانع الجديدة ومناطق استصلاح الاراضي وابار النفط المكتشفة حديثا .

ومما يساعد الثقافة الجماهيرية على تحقيق أهدافها الرئيسية وهي - كما معنا الى ذلك - انسانية الانسان ومواظنته وقوميته وعاليته انها تتسم بالمرونة وتستطيع الملائمة بينها وبين التراث ، ومواجهة الحاضر واستشراف المستقبل . ولقد كانت تقوم وظائفها دون توجيه مركزي أو رسمي . ومن الطواهر التي يعترف بها الدارسون للثقافة انها تنتشر في كل اتجاه . من قمة الكيان الاجتماعي الى سفحه ومن السفح الى القمة ، ومن المدينة الى القرية الى البادية . الى جانب التطور الطبيعي من البادوة الى الاستقرار فالتقدم . ونتيجة هذه الحقيقة هي ان القوامين على الثقافة الجماهيرية يقترن فيهم أن يمينوا هذا المقوم الانساني على تحقيق أهدافه بما فطر عليه من قدرة على البقاء والتطور والانتشار والثقافة الانسانية تسقط ما لا حاجة للحياة به وتطور ما يصلح للبقاء وتضيف الجديد الذي تستشعر الحياة العاجية اليه ومن ثم عرفت الثقافة بأنها من أقوى العوامل الدينامية في مواجهة التغير في حياة الافراد والجماعات والشعوب وليس ادعى الى توثيق التكامل القومي الذي تنزع اليه الشعوب المنتعجة الى اصل واحد وتراث مشترك ولسان يحمل المعارف والخبرات ويوثق الاوضاع بسين الاحاد والجماعات بثقافة الجماهير .

الثقافة ، وان كانت في ظاهر امرها اقرب الى الخدمات ، فانها وثيقة الارتباط بالانتاج . وهي من العوامل الدينية المتلاحقة بمجلة متزايدة السرعة من عصرنا الحديث .

وهكذا أصبحت الثقافة من أهم تيمات الهيئة الاجتماعية كما انها أصبحت في الوقت نفسه من أعظم حقوق المواطنين وكان من الطبيعي أن تغلق هذه الوظيفة الحيوية للفرد والمجتمع على السواء ، مرفق الثقافة الجماهيرية ، لكي يعيش الانسان عصره وتتأكد انسانيته ، وتتحقق مواظنته وقوميته ، ونسبة الثقافة الى الجماهير لا تعني الجمع الحاشد الذي يستقبل المادة الثقافية . ربما كان الاصل فيها كذلك عندما لوحظ أن الاستقبال المنشود للمادة الثقافية لم يكن ليتحقق الا من اطار جمهور محتشد كالاستماع الى خطبة في دار الندوة للاشهاد على موقف أو علاقة ، أو عظة تلقى في أماكن العبادة ، ولكن التدوين ثم الطباعة فالاذاعة السمعية والبصرية قد جعلت الاحتشاد أو التجمع ليس شرطاً أو ضرورة للثب والاستقبال ، بل أن تسجيل الصوت والصورة قد جعل من السمع الانتفاض بالمادة الثقافية في هذه الاوعية الجديدة وتوزيعها على الافراد والجماعات غير الزمان والمكان جميعاً . من هنا لم تعد الثقافة الجماهيرية مرتفعة النبرة متوترة الالتام بمبالغة في الاجتهاد والتأثير ، لانها تطلعت بغضل التدوين والتسجيل والعرض من الاحتكام الى العقل الفردي في جميع الاحوال ، وأصبحت :

● **اولا :** تتجاوز المبالغة الى الاتصال الواقعي والطبيعي بواسطة الرمز المسموع والمرئي .

● **ثانياً :** تحررت الثقافة الى حد كبير من الاقتصاد على البصر بالقرائة والكثافة وأصبح سمح الممكن التزود بالمعرفة والخبرة والمهارة عن طريق الكلمة المجهورة الواقعية .

● **ثالثاً :** استعادت عناصر متعددة مكانها من ثقافة الجماهير مثل تلك الحلقات الشعبية التي تؤلف جانباً كبيراً من تراث الجماعة والتي كاد ينقرض بفعل التطور .

● **رابعاً :** أعانت الثقافة الجماهيرية على بث الصالح من التراث القومي والشعبي لا ليكون مادة حضارية تدرس ولكن ليكون أساساً لاستلهاج المبدعين من الادباء والفنانين .

وبهذا كله أدركت الهيئة الاجتماعية على أساس واقعي، جوهر الثقافة ووظيفتها ومكانتها على الصعيد الوطني والقومي ، بل والعالمي .

عوامل التكامل المحلية

ويستطيع المتتبع لتأثير الثقافة التي أخذت الهيئة الاجتماعية على عاتقها أن تزود بها جساميرها ، ان يلاحظ :
● أولا : أن التكامل في إطار الاقليم أو الوطن الصغير يسائر وسائل المواصلات المادية التي تنقل الناس والامتعة من مكان الى مكان . ولقد دلت الدراسات المختلفة على أن المجتمعات لا تعيش فيما يشبه العزلة التامة ، مهما كانت متباعدة ، وتبادل التأثير والتأثير من النواحي الثقافية مشاهد في كل بيئة . والهيئة الاجتماعية التي تتخذ لها أجهزة مركزية تعمل على التقريب بين البيئات الاجتماعية المختلفة . ولقد من بنا أن الثقافة تتخذ لها مسارا من قمة الكيان الاجتماعي الى سفحه ، ومن مركز الهيئة الاجتماعية أو أو قسبة الدولة الى أطرافها ، ومع ذلك فالمواصلات المادية تساعد على أن تتخذ الثقافة مسارها الآخر من السفح الى القمة ومن المحيط الى المركز أو العنصر .

● ثانيا : ومن المفيد أن نقرده المسار الاول للثقافة ما يوضحه ، فقد درجت المجتمعات منذ فجر التاريخ على أن تكون لها ثقافة ذات صفة رسمية ونمطي بال رسمية هنا ما يقابل « الشعبية » ، وما يصدر عن الدولة عن طريق مؤسساتها ومنظمتها الدينية والتعليمية . وهي ثقافة متحركة وموجهة ، كما أن الاحاد المنتمين الى الهيئة الاجتماعية يتزعمون بالفطرة الى تقليد المثال الذي يقدمه القائمون بالامر والسلطان . وتستوعب هذه الثقافة الرسمية العلوم وفروعها والمخترعات التي يعتبر من مناهج الحياة وعلاقات المجتمع .

● ثالثا : الثقافة الشعبية وهي الدعامة التي تنطلق منها الثقافة في مسارها الثاني ، ولم يعد المقصود بالشعبية البدائي أو المتخلف وإنما المقصود هسو جماع العناصر الثقافية التي تصدر عن شعب من الشعوب ، وتمثل حصيلة معارف وخبراته ومهاراته مرحلة تاريخية معينة . ولقد كان الرأى السائد ، الى عهد قريب ، أن الثقافة الشعبية ليست الا من رواسب الماضي البعيد ، ولكن الدراسات الانسانية الحديثة أثبتت أن الثقافة الشعبية تنمو بأطوار مع التطور التاريخي للشعب الذي تقوم به وله ، وهي تنقسم بالاصالة في المحل الاول ، ولا تعتمد بصورة مباشرة او غير مباشرة في توجيه مركزي او ايماء مركزي من سلطة اعلى ، وهذه الخصيصة تجعل الثقافة الشعبية هي الحفيظة ، لا على التراث فحسب ، ولكن على السمات الاصيلية ، القابلة للنمو والتطور محتفظة بأصالتها ايضا . وهذا المسار من الشعبي الى الرسمي أو من المحيط

الى المركز يتكامل مع المسار السابق وما أكثر الظواهر التي تدل على وجود العناصر الثقافية الشعبية عند الصغرة من العامة أو عند المبدعين من الادباء والفنانين فسي العاصة . وهذه الثقافة الشعبية من اهم العوامل في تدعيم التكامل المحلي والوطني ، وهي تظهر بوضوح عندما يستثمر المجتمع حاجته الى تأكيد ارتباطه بالوطن وانتمائه الى اسجاده التاريخية . وتضم الثقافة الشعبية العناصر التقليدية التي تحافظ على المتوارث من المهارات ، السى جانب التقاليد الفنية والادبية . ومن هنا كانت اهميتها في تدعيم التكامل الوطني .

● رابعا : وكان من المفروض ان نورد هذا العامل مع المواصلات ، ولكننا أقردناه لانه ، وان كان يؤلف اهم وسائل الاتصال بين الناس في العصر الحديث ، فانه يتجاوز نقل الاجسام والاشياء الى نقل الافكار والمشاعر ، ويمكن الظاهر والعلاقات في الحياة الانسانية وتقصده بهذا العامل الكتاب الاذاعتين الموسوعة والمرئية . واذا كان بعض الدارسين قد جعل معالم التاريخ الانساني تتحدد على أساس وسائل الاتصال هذه ، فإنا نسجل تأثيرها الذي لا حد له في إزالة العواجز لا بين الوحدات الاجتماعية على الصعيد الوطني فقط ولكن بين الشعوب على الصعيدين القومي والعالمي ايضا . وهذه الوسائط قد بددت اسباب الاختلاف والتناقض والتخلف لانها اذا احسن توجيهها تقدم الثقافة على اختلاف موادها ووسائلها الى الافراد حيث يكونون وتصحبهم في العمل والسمر وتزودهم بما يحتاجون اليه ، مما يجعلهم على مستوى متقارب في الاحساس بالانسانية والمواطنة والقومية . ولقد صحت الادعايات الموسوعة والمرئية مفهوم دارجا وهو أن المستوى الثقافي للأفراد والوحدات الاجتماعية إنما تحدده القدرة على القراءة والكتابة أو العجز عنها ، وذلك لان الامية الهجائية لم تعد فيصلا في الحكم بين المثقف والمثقل والمطل على الثقافة ، فقد تصبغ هذه الامية الهجائية حائلا بين الانسان ، أي كانت بيئته وأيأ كانت سنة ، وبين الفرد بالثقافة ، ومن اجل هذا برز الى الوجود مصطلح جديد هو « الامية الثقافية » أو « امية المتعلمين » وأصبح من اهم تبعات الهيئة الاجتماعية ان تغلص المجتمع من هاتين الالفتين . واذا اضيفت هذه الاعوية الثقافية الجديدة الى العوامل السابقة فإن المجتمع يحقق المستوى المنشود في الفكر والسلوك ، ويتجاوز التكامل الوطني الى التكامل القومي والتقارب العالمي .

واهم ما يساعد المجتمع المحلي أو القطري على استحداث الانسجام بين عناصره الثقافية ، هو الاخسـد

الثقافة والتكامل القومي

بأسباب التخطيط في المجال الثقافي ، على ان يكون هذا هذا التخطيط قائما على المواجهة الواقعية للمجتمع المحلي ، ولوحداته الادارية او شبه الادارية ، وعلى ان يساير في الوقت نفسه خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن القواعد المقررة ان خطة التنمية انما تتخذ في التصور النظري شكل مثلث متساوي الاضلاع ، يمد الضلع الاول رمزا للتنمية الاقتصادية ، ويمد الضلع الثاني رمزا للتنمية الاجتماعية ، اما الضلع الثالث فهو رمز التنمية الثقافية ، وان كان الواقع يجعل هذه الحدود عبارة عن حد واحد لان الحياة الانسانية لا تعرف الفصل المتسلي بين الاقتصاد والاجتماع والثقافة ، وحسبنا ان نذكر هذه الحقيقة حتى لا نقع في الخطأ الذي يبادع بين المتخصصين في الاقتصاد او الاجتماع او الثقافة .

ولا بد ان يستكمل الجانب الثقافي من الخطة المسارين معا وهما المسار الاقضي الذي يعني بالكلم وبالجمهير العريضة ثم المسار الراسي الذي يعني بالكيف اكثر من كميته بالك في العمل الثقافي ، والذي يقوم اساسا على البث او الارسل او التوجيه من قمة الهرم الاجتماعي الى سفحه ، او من مركز الهيئة الاجتماعية الى اطرافها . وهذا المسار يعني ايضا بالاشكال او الانواع الثقافية .. يعني برفع مستوى الانسانية والمواطنة والمعارضة في كل فرد من افراد المجتمع ، وتستعين الهيئة الاجتماعية على بلوغ هذه الغاية بتزويد المجتمع ، ووحداته الصغيرة ، بما تفتقر اليه ، او بما يرفع من مستواها الفكري والشموري وما تراء من تشجيع الدولة للفنون الزمنية والتشكيلية ، بل وما تقوم به الدولة نفسها من اقامة المسارح والمعارض والمتاحف وما اليها هو تحقيق لذلك الهدف الاساسي الذي اشرنا اليه ، وهو ان يعيش الفرد انسانيته وعصره وان يقوي احساسه بالانتماء الى الوطن والى العالم من حوله .

وهكذا يبرز أهم عامل على الانسجام والتكامل على الصعيد المحلي او الوطني واقتضت هذه المسؤولية الجديدة من قبل الهيئة الاجتماعية ممثلة في الدولة ان تنهض للانباء بعمليتين :

● **الاول :** تشجيع الفنون الزمنية والتشكيلية الى جانب رفع المستوى الفكري للأفراد والوحدات الاجتماعية واقتضى ذلك اقامة مراكز اشعاع لهذه الفنون .

● **الثاني :** انشاء جهاز مركزي في اطار الثقافة الجماهيرية يعني بنشر الفنون على اختلاف وسائلها كسما يعني برفع المستوى الفكري للأفراد والوحدات الاجتماعية .

ومن المشاهد في التجارب التي قامت بها بعض الدول العربية ، انها عندما استجابت للاحاساس بالحاجة الى الاهتمام بالثقافة الجماهيرية ، بادرت وخصصت ادارات متخصصة في نشر الفنون والمعارف من المركز الى سائر الربوع في الوطن او القطر . وهذه الادارات اصيبت مسؤولية من رفع الذوق بجميع الوسائل والاشغال الفنية ، واستوعبت تلك الادارات اقساما ، يتخصص كل قسم منها بفن أو فرع من فروع الثقافة والموسيقى ، وكالفنون التشكيلية من تصوير ونحت وزخرفة .. الخ ، وتعتمد الادارات والاقسام المتخصصة مسؤولية عن « الكيف » في المجال الثقافي ، كما انها مسؤولة عن تزويد الافراد والوحدات الاجتماعية بما تحتاج اليه من اداب وفنون وثقافات عامة .

ومن تكرار القول ان نسجل هنا ان الافراد والوحدات الاجتماعية ترى في هذا العصر ان من حقها ان تزود بما تحتاج اليه ، بل بما هي اهل له ، من فنون واداب وثقافات عامة .. لقد اصبح من حق كل فرد وكل وحيدة اجتماعية ، مثل الدولة ، ان تحصل على هذا الجانب الثقافي الذي يتجاوز حق التعليم لانه ليس مقصورا على مزية عقلية او اجتماعية ، وليس محصورا في مرحلة معينة من مراحل العمل ، بل هو زاد الجميع بلا استثناء .

ويتقضي الواجب ان تنبه الى ان التجارب الرائدة في مجال الثقافة الجماهيرية قد واجهت في هذه الناحية صعوبتين :

● **الاولى :** ان الهيئة الاجتماعية ، وان اعترفت بأهمية الثقافة ، الا انها لم تكن مستعدة لتحقيق الهدف الكبير الذي وضع على كاهلها ، فلم يكن قد أعد الجهاز البشري المتخصص في التدقيق . لقد ظهر المتخصصون في التعليم على مدى التاريخ كله بيد ان المتخصصين في نشر الفنون والاداب والثقافة العامة لم يظهرها بعد ، ومن أجل ذلك استوعبت المرافق الثقافية الجديدة افرادا ، عرفوا بالاهتمام بالتثقيف والتوير ، كما استعمرت الاجهزة الثقافية احادا وجماعات تعمل في مجالات الاداب والفنون ولا تزال الحاجة ماسة الى الاعتراف بضرورة تاهيل طائفة من المتخصصين في نشر الفنون والاداب والمعارف العامة .

ولا يتحقق ذلك الا باعتبارف بتلك المواهب المحلية وهذه
التبعة تحقق هدفين أصليين :

● **الاول :** المحافظة على مقومات الامسالة في الفنون
والاداب ، لان الابداع المحلي هو الذي يحمل التقاليد
الفنية الاصيلة .

● **الثاني :** ان بين تلك المواهب المحلية عناصر
قادرة على النفاذ من المحلية الى القطرية والقومية والعالمية ،
لو انها وجدت من يأخذ بيدها ومن يهيئ المناخ الصالح
للنضج المغنر ، وقد استجابت السدول العربية
لهذه المسؤولية فقامت قواعد لممارسة الفنون والمهن
المحلية وانشأت المارض لثمرات تلك المواهب . وسمت
بعض الدول العربية للموهوبين ان يأخذوا بأسباب التعليم
والتخصص ومن اليديهي ان تبادل المنتجات الفنية بين
الاقليم من اهم العوامل على استحداث الانسجام في الذوق
الفني على الصعيد الوطني .

وعندما يقوى الاحساس بحاجة الجماهير الى الثقافة
فان ذلك يعفزها على ان تبذل من ناحيتها الجهد في سبيل
المعاونة على التثقيف والتنوير . ومن اقوى الادلة على ذلك
ان جماهير بعض القرى قد بادرت الى اقامة المراكز الثقافية
التي تقوم بالاستقبال والبت في وقت واحد وكان سينها
يعتمد على الجهود الذاتية اكثر من اعتماده على المعاونة
الخارجية وأثبتت التجارب الرائدة في هذا المجال ايضا ان
الجماهير تستطيع ان تهيه لنفسها الوعي الثقافية التي
كان يظن ان من المستحيل تاصيلها من الارياف . . لقد
بادرت بعض القرى الى تشييد مسرح ثابت مكتشف يستطيع
ان يقدم لجماهير القرية مسرحيات المدينة كما يعرض
تجارب الموهوبين المحليين من التأليف الدرامي .

وبفضل هذه الاستجابة برزت تلك الاشكال التمثيلية
التي كانت مجهولة او مغمورة والتي صحت اخطاء كثيرة
تتصل بقطرة المواطن العربي ، وافادت الهيئة الاجتماعية
بأضافة تلك الحلقات المجهولة او المزدرة الى التراث الوطني
بل القومي المعنر .

واقضى انتقال الوعاء الثقافي ، كالمرح او الشريف
- النيلم - أو الكتاب الى المدن والقرى ، والى المساحات
في الريف وأماكن التجمع السكاني الجديد حول الصناعات

● **اما الصعوبة الثانية** التي واجهت التجارب
الرائدة في مجال الثقافة لاجماهيرية فهي تركيز المرافق
الثقافية في العاصمة ، وبعض المدن الكبرى وخلق سائر
المدن والقرى والربوع من تلك المرافق ، واقتضى ذلك أن
تستعين الثقافة الجماهيرية بمرافق الخدمات الاخرى مثل
التعليم بمؤسساته المنتشرة بين الاقاليم - حاولت بعض
الدول العربية ان تنشئ قواعد للثقافة الجماهيرية تستقبل
اوعية الفنون والاداب من القمة أو المركز أو العامة ،
وتعمل بعد ذلك على نشر أو اجتذاب الجماهير اليها أو
توزيعها على قواعد اصغر وأبعد ، وبذلك ظهرت قصور
الثقافة أو بيوت الثقافة كما نهضت بعض المؤسسات التعليمية
بتبعات ثقافية تدعو اليها جماهير من غير التلاميذ للتزود
بالمعرفة أو الخبرة أو المهارة أو الذوق الفني -

ولن يتكامل العمل في مجال الثقافة الجماهيرية ، الا
إذا عنيت بثقافة الشعب على اختلاف طبقاته وبيئاته ،
ولذلك كان من الضروري ان يعني مرفق الثقافة الجماهيرية
بما عند الوحدات الاجتماعية في المدن والارياف والوادي،
من اداب وفنون ومعارف عامة . وهذا يقتضي الكشف
عن تلك العناصر بالانهاج الحديثة التي تأخذ بالواجهه
الموضوعية أو العمل الميداني ، ولا يتم ذلك الا بتضافر
للتخصصين في الدراسات الانسانية المختلفة لكي تكون
الظواهر صعيحة والاحكام دقيقة .

ولقد سبق ان ذكرنا ان المجتمع بقطرته انما ينزع
الى الانتخاب لكي يواجه حاضره المتجدد باستمرار . وليست
مهمة الثقافة الجماهيرية مباينة لتلك النزعة القطرية ،
ولكنها تعمل على معاونة المجتمع على التمييز ، وتخلصه
من الاختبارات الطويلة التي يلجأ اليها بقطرته ويحافظ
على الصالح من ثقافته الشعبية ، كما تساعده على تطوير
ادابه وفنونه ومعارفه وخبراته بحيث تساير متطلبات
المعاورة .

ومن ابرز الابعاء التي يفترض في مرفق الثقافة
الجماهيرية ان يقوم بها ، الكشف عن المواهب المحلية في
مختلف الفنون والمهارات ، وسما قبل عن تغلف الاداب
والفنون ، بل والصناعات والمهن المحلية فان ذلك لا يعني
الهيئة الاجتماعية من واجبهها في رعاية الاداب والفنون

السطور يسجل أن عروض الغناء والموسيقى والرياضة البدنية والالعاب الخارقة وخيال الظل كانت تتجول بين اقطار الوطن العربي الكبير وان بعض تلك الفرق قد اتخذت لها مهاجرا جديدة في اوروبا الوسطى *

ومن المفيد أن نقرر حاجة العاملين في مجال الثقافة الجماهيرية الى وضع خط فاصل بين ما اصطلح على تسميته - الملاهي - وبين وسائل الاتصال المعنوي والثقافي بين الافراد والوحدات الاجتماعية * من الضروري ان نسايير التطور في الحياة المعاصرة ، وما يفرضه من الاكبار من شأن وسائل الاتصال هذه ، وما تستوعبه من اوعية ثقافية وأشكال فنية مثل المسرح والخيالة وعروض الايقاع والغناء * ان هذه الاعوية وتلك الاشكال مهما حققت من تسليية وترفيه فانها ارقى من ان ينظر اليها على انها ملاهي رخيصة كالتي تمارس في بعض الاندية الليلة * وليس من المعقول أن تعترف الهيئة الاجتماعية بهذه العناصر الثقافية وتنشئ المؤسسات والقواعد ، وتقدم لها المعونات المادية والادبية وتدعمها بالمتخصصين في اداؤها وتظل النظرة القديمة لها على أنها مجرد ملاهي رخيصة ترتبط بما يخرج عن نطاق الحياة الجادة - والثقافة الجماهيرية انما تهتم بهذه العناصر الثقافية * لانها اولا باعتبارها من جواهر النشاط الثقافي وثانيا لانها من اقوى العوامل على استحداث التكامل الوطني *

اما وسائل الاتصال الحديثة فتأثيرها على نقل الثقافة على الصعيد القومي - ولا نقول الوطني فحسب - ظاهر لا يحتاج الى ايضاح - ولقد صدق المؤرخون المحدثون الذين جعلوا الاداعيين المسموعة والمرئية اقوى تأثيرا في استحداث التقارب بين الجماعات من الطباعة والصحافة ، لانها لا تحتاج الى وحيدات مادية لنقل الوعاء الثقافي ، كما هو الحال في الكتاب او الصحيفة او المجلة ، ومــــن الواضح الجلي ان برامج الاداعة المسموعة والمرئية تنتقل دون حاجة الى تلك الادوات المادية وانها تتجاوز الجماهير المحتشدة في صعيد واحد ، وفي مناسبة معينة ، للاستماع الى خطبة ، او غزلة ، او لمشاهدة عرض مسرحي او شريط خيالة ومن اجل ذلك تمد الاداعة المرئية والمسموعة الان من اعظم اوعية الثقافة من ناحية ، كما تعد من اقوى وسائل التوحيد الفكري والشموري بين الافراد والوحدات الاجتماعية في اطار وطني او قومي ، بل في اطار اوسع من ذلك ، مدى يتجاوز حتى اختلاف الاقوام في اللغة

المستحثة تعديلا لا يمس الجوهر او الكيف ولا يؤثر في مستوى الناصر الثقافي ، ذلك لان المرونة في الانتقال استحدثت مرونة مكافئة في الاداء ، فتلخص الناصر الثقافي من بعض الزخارف غير الجوهرية ومن بعض التعقيدات التي لا تثير من جوهر العمل الفني * وكان من الطبيعي ان تسايير الفنون المسرحية الاتجاهات الحديثة في الاعتماد على اساسيات العرض مع زوال الجدار الرابع واستغلت العلاقة الوثيقة بين الاثر الفني وبين الجماهير في الاستماعة بعناصر محلية * وتكاملت تلك الجهود بالكتبة المتنقلة وبالقافلة الثقافية المزودة بأجهزة العروض المسرحية والاقطاعية والسينمائية * واذا كانت الدول الاوربية تستغل في العصر الحديث الساحات المكشوفة والملاعب الرياضية فسي عرض المشاهد الفنية ، فان الدول العربية عندها تقليد عريق ، اعانت عليه الاجوام التي عرفت بالاعتدال معظم اوقات السنة وتعتمد بهذا التقليد استغلال الدار المتنقلة او « المخيم » في المناسبات العامة ، ومن اجل ذلك ظهرت الدعوة الى الاخذ بهذا التقليد في مجال الثقافة الجماهيرية، فتقام « المخيمات الثقافية » في مختلف الربوع وهي مونة سهلة الحمل والانتقال ، وتستطيع ان تستوعب الاجهزة والادوات ، وتضم مكان العرض وساحة النظارة او جماهير المشاهدين والتذوقين * وهذه المخيمات قد استغلت من قديم في المواسم التي تجتذب الجماهير وكانت في الاجيال الماضية الوسيلة الاساسية في عرض مختلف الفنون والاداب الشعبية * كانت تعرض فيها اشكال التمثيل المباشر وغير المباشر وفنون الايقاع والشيد والغناء وعروض المهارات الخارقة * وما دنا نعرف بأن من اهم تيمات مرفسق الثقافة الجماهيرية معاونة الشعب على الانتخاب وتطوير فنونه وادابه ، فمن الواجب ان نعرف ايضا بأن هذا الوعاء التقليدي لا يزال قادرا على الانتقال والبلث طبقا لمفهوم الثقافة الذي يزاوج بين مقتضيات الاسالة والمعاصرة والذي يفيد من الغبرات السالفة والتقاليد الموصولة * وان كل من درس الثقافة الشعبية على اختلاف عناصرها واشكالها ووسائلها ، يسلم معنا بأن المخيم الثقافي ، بصورته القديمة كان من أبرز العوامل على استحداث الانسجام والتكامل في الثقافة على الصعيد الوطني والقومي * ومن ذلك ان اشكال التمثيل المباشر وغير المباشر ظلت حيصة عبر الاجيال وتنتقلت بين الربوع وتجاوزت المجال القطري الى المجال القومي الرحب ، بل نفذت الى الافق العالمي وكاتب هذه

الثقافة والتكامل القومي

والمرحلة الحضارية • ان الجيل الذي يعيش في اوطان العربي قد شاهد القرية المنعزلة او شبه المنعزلة منذ نصف قرن وشاهد الافراد والجماعات الذين تمرد عليهم التحول من القرية او الوحدة الادارية ، الى ما هو ارحب ، اما اليوم فان الفلاح في الريف يستمع الى الاذاعة المسموعة وهو في الحقل ومن الممكن مضاعفة الصوت بحيث ينفذ الى مجتمع بأسره بواسطة المكبرات المنتشرة في كل مكان • ومن الخطأ الذي لا بد من تصحيحه ان نظل نتصور الاذاعة المسموعة والمرئية على انها جهاز اعلام حسب ، فالواقع انها :

● أولا وقبل كل شيء وعاء ثقافي ، ولذلك يصحب من الطبيعي ان يحسب لهذه الاذاعة حسابها في التخطيط الثقافي على الصعيد الوطني - وسياتي بعد ذكر مكانها من التخطيط الثقافي على الصعيد القومي - ولقد أدت هذه الاذاعة ، بما لها من تأثير قوي ، مهمة كبرى ، في استحداث الانسجام المؤدي الى التكامل المحلي ، واعانت على التقريب بين اللهجات واستحدثت تقارباً في الذوق ، ودعت المسارين القطريين للعناصر الثقافية من القمة الى السفح ، ومن القسبة الى الحدود ، وبالعكس ، وينضج ذلك حتى في تجسيم الانماط الانسانية المختلفة في الوطن مثل نموذج اليدوي ، ونموذج الفلاح ، لم تعد هذه النماذج مقطعة من بيئة ثقافية محدودة •• ولم تعد تصدر عن سلوك او تتحدث بلهجة وحدة اجتماعية بذاتها ، وانما أصبحت نماذج عامة لاي بدوي واي فلاح •

كما أن الاذاعة السمعية والبصرية قد استحدثت ولا تزال تستحدث انسجاماً بين مختلف اللهجات في الوطن العربي الكبير ، ومن اليسير اليوم استقبال اللهجات العربية في الشرق العربي ومغرب ، ولم يكن ذلك يسيراً في الاجيال الماضية التي لم تنعم بهذه الاوعية الثقافية الخطيرة • ويضاف من هذا التأثير في استحداث التكامل ظهور اجهزة التسجيل السمعي والبصري ، وانتشارها ، فقد سرت هذه الاجهزة ما يمكن ان نطلق عليه مصطلح - تعليم - الثقافة ، ومرونة التسجيلات ، والقدرة على نقلها من مكان الى مكان جعلها من عوامل الانسجام والتكامل في المجال الثقافي • ونحن نؤيد الباحثين المعاصرين الذين يرون في بعض هذه التسجيلات قيمة الوثائق المدونة •• والواقع ان شيوع التسجيل السمعي والبصري قد وسع دائرة الذخائر الثقافية - اذا صح هذا التعبير - لان المحافظة على العناصر الثقافية ،

ونقلها عبر الزمان والمكان جعل المكتبة تتسع للثقافة السمعية والبصرية • ومن الضروري ونحن نتحدث عن الثقافة الجماهيرية ، ان تطالب بضرورة المبادرة الى الاهتمام بهذه الوثائق الجديدة التي تربط بنقل الواقع الحضاري الحي بصورة أدق من التدوين والكتابة • ولقد أن الاوان لان نقيم مكتبات خاصة بهذه الوثائق ، او على اقل تقدير ، نتوسع في مضمون المكتبات العامة بحيث تستوعب التسجيلات السمعية والبصرية •

ومن الانصاف للبحث ان اسجل انه فرصة ذهبية لكي نفيد بحق من المعاصرة في استحداث الوحدة الفكرية بين جماهيرنا وهذا يتطلب منا ، ونحن نواجه الامية الالف بائية والامية الثقافية ، ان ندعو الى ظهور - الكتاب الناطق - وليس هذا الكتاب مجرد مجموعة من الاسطوانات او الاقراص الصوتية التي تردد الاغاني ولكنه قد اصبح من وسائل التربية والتعليم والثقافة في اقطار كثيرة ، وسيلة قوية ومباشرة لتسجيل الثقافة على اختلاف اشكالها ووسائلها وقد وجد الكتاب الناطق في بعض اقطار الوطن العربي بالفعل ولكنه اقتصر على النصوص المقدسة وبعض وسائل التعليم الفلوي ومن الممكن ان يتسع لآكثر عناصر الثقافة ، فيستوعب بعض المدونين ويترجم بعض النصوص المكتوبة الى صور بصرية وسمعية ، ويجعل بعض الاشكال الفنية ، زمنية وتشكيلية ، متيسرة للأفراد والجماعات ، وبذلك يضاف الكتاب الناطق الى العوامل ذات الاثر الكبير والمباشر في استحداث التكامل الوطني بل القومي ونستطيع ان نخص الخطوط الاساسية في عوامل التكامل الوطني ، في وجوب التخطيط لثقافة الوطن او الامة ، وهو تخطيط - من الضروري ان يركز على دراسة واقعية ، وعلى التفريق بين الخطة من ناحية ووضع البرنامج محدود الاجل من ناحية أخرى • والمبادرة الى انشاء الجهاز الذي يعنى على تخريج متخصصين في التثقيف ، اسوة بالتعليم وما اليه ، والعمل في مجال الثقافة الجماهيرية بصفة خاصة على الاساس المركزي المشدود ، وعلى الاساس اللامركزي في الوقت نفسه وهو الذي يحتفل بثقافة الجماهير ، وما تنسم به من اصالة بحيث يبرز الصالح منها ، ويساعد على تطويره ، وتقدير الاوعية الثقافية على اختلافها واستغلالها في التوجيه الثقافي لكي يتم الانسجام الفكري والشعوري بين الافراد والوحدات الاجتماعية •

الفطرة عند العربي

عبدالمعز عبد الله الرشيد

ومهما تكن عند امرء من خليفة

وان خالها تغفى على الناس تعلم

وما يصلح موضوعا لبحث علمي موضع الدلائل
قائم البينات فخبيرة إجادتنا المتبلورة في الأمثال وما يروى
عنهم من الأحداث تتفق مع التدسس المتضمن في مثل هذا
البيت الخالد ، وكم له من أمثال وفي مثل الكلمة السائرة
« الولد سر أبيه » ، « وكادت المرأة تلد أخاها » ، « خذوا
البنات في صدور العمات » ، « اذا بار الولد فثلاثا للغال »
وقول القائل .

عليك الغال ان الغال يسرى

الى ابن الاخت بالشبه المبين

هذه الابيات وهذه الامثال يشير ككل منها الى ان
الاجداد والاحفاد تنشأ سماتهم وأصول تفكيرهم عن مثال
مشترك . ان الولد ينزع لذويه ولو لم يقدر لهم مقابلة
بعضهم بعضا .

ولا ننسى في هذه المناسبة ما تعارف عليه العرب في
الجاهلية على علم القيافة الذي يقوم على الاستدلال بهيئة
الانسان على نسبه . فقد هدتهم فطرتهم المصحوبة بدقة
الملاحظة والتجربة الصادقة الى رسوم قواعد الوراثة .
وقد أخذ الاسلام في ذلك - واليك ما ورد في الصحيح
فيما يتعلق بهذا الامر .

« ان مجزر الاسلامي دخل يوما الى الرسول صلى الله
عليه وسلم فرأى أسامة بن زيد وزيدا وعليهما قطيفة قد
غطيا رأسيهما وبدت اقدامهما فنظر اليهما مجزر الاسلامي
وقال ان هذه اقداما بعضهما من بعض .. الخ » . فسر
بذلك النبي عليه السلام وقد فسر الاصفهاني هذا النوع
من المعارف عند العرب بأن الله تعالى خص بذلك العرب
ليكون سببا لارتداع نسايتهم عما يورث سلب نسبهم وخبث
حسبهم وفساد بذورهم صيانة للنسب .

كذلك كان العرب اذا نظروا الى عدة أشخاص ،
الحقوا الابن بأبيه والاخ بأخيه والقريب بقريبه وميزوا
الاجنبي من بينهم . « وأما حكمة اهتمام العرب بالنسب
فنجدها في جواب أباة عندما قيل له : من أين عرفت ان
الرجل يدعى لغير أبيه ؟ فقال : لاني رأيتني يتكلم في عمله
ونجدها أيضا في اقوال مأثورة كهذه » « يد الحر ميزان »
« بالبر يستعبد الحر » .. الخ .

وقد فطن العرب اذا القديم للعلاقة بين ما ظهر من
الحياة وبين ما خسر فيها من استعدادات فوضوا علمهم
الفراسة كسجل لخبراتهم في هذا الشأن ثم يأتي القرآن
الكريم مؤيدا للحسب عندهم بهذه الآية الكريمة : « ان في
ذلك لآيات للمتوسمين » ، « تعرفهم بسمياتهم ولتعرفنهم

تصدق الفطرة النقية في الهدى الى امور علمية تدل
التجارب الدقيقة بعد قرون متطاولة على صحتها الواضحة
وانك لتعجب اشد العجب حين تنمخض الياحات في المعامل
التجريبية عن آراء اتى بها الاميون في عصورهم الفاسدة
لا اقول انهم اهتموا اليها مغللة محللة ، ولكن النتائج
وبخاصة في دنيا الدراسات الانسانية كانت مبلورة في حكمة
سائرة ، او مثل شروذ ، او بيت شعري يدل على نبوغ فذ
في عالم النفس ، ويرتكز الى خلقه تجريبية في عالم السلوك ،
حتى ليصبح بابا مكمثل العناصر في ذاته وان علم النفس
المعاصر ليجد في مثل قول زهير ابن أبي سلمى -

لمعرك ، ما امرى علي بنفسي
نهاري ، ولا ليلى علي بمرسد
ولما كان العربي في دنياه الغابرة مثال الحرية السامية ،
كانت فيه المروءة سجية وتسلم ما يعبر عن مظاهر هذه
المروءة لديه من مثل قوله :

إذا كنت ربا للقلوسى فلا تدع
رفيقتك يمشي خلفها ، غير راكب
أنفها ، فأردفه ، فإن حلتكما
فذاك ، وإن كان العقاب فعاقب
وقوله :

لقد كنت أطوى البطن والزاديشتهى
مخافة ، يوما أن يقال لثيم
وقوله :

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنتى
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد
وان يلتقى الحي الجميع تلاقني
الى ذروة البيت الرفيع المصد
وان أدع للجللى أكن من حانها
وان يأتك الاعداء بالجهد أجهد
وقوله :

عليهم وقار الحكم حتى كأننا
ولدهم من أجل هيبتهم كهل
ان استجهلوا لم يغرب العلم عنهم
وان أثروا أن يجهلوا عظم الجهل
وقوله :

محرمة أكفال خيلي على القنا
ودأمية لبائتها ونحوها
حرام على أرماعنا طمن مديبر
وتندق منها في الصدور صدورها
وقوله :

إذا ما صنعت الزاد ، فالتمسي له
أكيلا ، فاني لست أكله وحدي
أخا طارقا أو جارا بيت فانتني
أخاف مذمات الاحاديث من بددي

فهذه أمثلة مختلفة ، تتلاقى جميعها في اجمالها
لدى الفتوة العربية في التمسك بأمثل الفضائل وتختلف في
اختصاص كل بيت بخلق خاص ينتحيه ويهدف اليه ، ولم
يكن الشاعر العربي مدرسا أخلاق حتى يفضل ويشرح ،

في لحن القول ، الخ ٠٠ ونقتبس المثال الآتي من كتاب
مفتاح السعادة لابن القيم : حكى عن المهدي أنه رأى رؤيا
ونسبها فأصبح مقنعا بها فدل على رجل كان يعرف الزجر
والفال والتعير وكان حاذقا واسمه خويلد ٠ فلما دخل
عليه أخيره بالذي أراده فقال له « يا أمير المؤمنين الى
الحركة » فغضب المهدي وقال : سبحان الله ، أحذركم يذكر
يعلم ولا يدري ما هو ، وسع رأسه ووجهه وضرب بها على
فخذ ، فقال له : أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين قال هات
قال : رايت كأنك صعدت جبلا ، فقال المهدي : لله أبوك
يا سحار ، صدقت ، قال ما أنا بسحار يا أمير المؤمنين غير
أنك مسحت يديك على رأسك فزجرت لك بنزولك الى أرض
ملساء فيها عيتان مالحتان ثم اتحدت الى سفح الجبل
فلقيت رجلا من فخذك ، قريش ، لأن أمير المؤمنين مسح
بعد ذلك يديه على فخذيه فعلمت أن الرجل الذي لقيته من
قرايتك قال : صدقت) ٠

هذه القصة لها أصداء كثيرة في الادب الجاهلي وفي
الادب العربي الاسلامي ، وبعض المنتسبين الى المناهج
الحديثة يراها موضع تلتيق ، اذ يحاول أن يقلد دأري
الغرب في طمس كل أثر يدل على النبوغ العربي ، ولكن
نظائرها المختلفة في مثل كتاب الأذكياء لابن الجوزي يدل
على أن هذه النوادر المتزاخرة ما كانت تكثر هذه الكثرة
لمجرد التفتيق ، بل لا بد أن يكون أكثرها قد حدث بالفعل ،
وما لم يحدث ان جاز لنا أن نرخي العنان لهؤلاء الشاكين
قد يعيب على غرار ما حدث بالفعل ، وكتب الاحلام في
القديم مما جمعه ابن سيرين وأمثاله تدل على ذكاء بارع
في اكتشاف الرموز وتاويل الحدث بما يصور عبقرية العقل
المتفكر ، وذكاء النظر البصير ومن بواهر الذكاء العربي
أنه لا يقتصر على اظهار اللون في الاشياء وتفسير الغوامض
من الرموز بل ينتقل الى علاج النفس فيقي الارادة من
التردد والهمرة واليك هذا المثال العاث على شد أزر الارادة
وتثبيته للمزم على المكارد ، متف به حاتم الطائي ، وشهرته
غير دليل على صدق تعبيره عن تجربة بني قومه اذ يقول :

أشاور نفس الجود ، حتى تطيعني
وأترك نفس البخل لا استشيرها

ويقول :

يعني عن جارات قومي غفلة

وفي السمع عن حديثهم وقر

هذا من ناحية التردد النفسي قبل المزم ، وأما ما بعد
المزم فاليك ما يدل عليه من مثل قول شاعر آخر من شعراء
هذه الامة :

الفطنة عند العربي

ولكنه يستجيب الى متاف نفسي يصل الى الجوهر العريق في بيت أو أبيات سواء كان حكيما اشتهر بالحكمة أو ركن اليها كزمر حين قال (عليهم وقار العلم) أو شاعرا عيولا يستجيب للنادرة السريعة وللهاتف البادر كلرفة حين يقول (اذا القوم قالوا من فتى) أما أبيات الشجاعة والكرم فما أكثرها في أدب الجاهلية والاسلام لدى البداية من ضاربي الاطراب وناسبي الخيام من موقدي التيران ومرسلي الكلاب بالنجاح كي يسمع الضال فيهتدي حتى ليصدق أحدهم في قوله من أحد هؤلاء الاجواد .

ويكاد سيدهم يهود بنفسه

حب القرى حطبا على التيران

وان العرب عندما حرصوا على تثبيت مكازم الاخلاق بالورثة ، كانوا يقصدون من ذلك أن يوفروا على الاولاد والاحفاد الجهد المبذول في اكتسابها ، ويوقوئهم من خطر التردد في الاقدام على جليل الاعمال والمفاخرة عندهم تدل على ذلك خير دليل :

ه قال خالد لربيعة : - أعطيت من مال ، وأعطت من أكل ونصبت قدوري حين وضعت الساك ذيولها ، وطلعت يوم (شواشط) فارسا فحلت فخذيه بفرسه ، وقال ربيعة - يا قمقاع ما عندك ؟ فأخرج قوس حاجب فقال : - هذا قوس عمي رهنها عن العرب وهاتان نملا جدي قسم فيها أربعين مربعا ، وهذه زريبة زرارة لسم ير تاره خائف الا أمن ولسم يسك بطنب فسطاطه أسير الا فك .

فنادى ربيعة أن الساحة واللهم والمربع والشراف الاسبخ للقمقاع ، الا اني نفرت ممن كان أبوه معبدا وعمه حاجبا وجده زرارة .

كما كان العربي يمن على اولاده بأنه اختار لهم أما من أصل عريق ، بدلا من أن ينطلق لرغباته مستمتعا بها ، فيختار جميلة غير أصيلة تكون خضرار الدمن لمتبته ومستمتعا لفرسه .

وهو بهذا الاختيار كان يضمن لهم ميراثا حيا خالدا على الدهر يرددهم عما يعترض الطريق الى المثل الاعلى بحيث تصبح فيهم المكارم سجية كما قلنا .

يقول الشاعر العربي في مغالبة اولاده :

وأول احساني اليكسم تخيري

بطاهرة الاحساب بآد اصولها

وقوله :

تجاوزت بنت السم وهي قريبة

على فلا يضوي علي سليلي

وهي خبرة اكدها العلم الحديث حين رأى في قرب الدمام بين ابن العلم وابن العمة ما يوجب تضاعف المرض

فيضوي السليل وقد جمع ضعف الاب والام معا لذلك قال صلى الله عليه وسلم « اغتربوا لاتضوا » ومن ميراث هذه الطبايع المتخيرة والازواج الملهمة ما عنده الشاعر حين قال :

فقلت دعيني انما تلك عادتني

يبتدل كريمة عادة يستعيدهما

ومن يستقل ما ليس من خيم نفسه

يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وحين قال :

علونا الى خير الظهور وحطنا

لوقت الى خير البطون نزول

صفونا فلم نكدر وأخلص سربنا

اناث اطابت حملتنا وفحول

وحين قال :

وما يك من خير اتوه ، فانما

توارثه أيام أبانهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه

وتفرس الا في منابتها التخل

كما كان الرجل ينسب الى جده أو الى أحد عمومه اذا كان اشتهر من أبيه . ومن هنا قول الرسول الكريم محمد ابن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - أنا أخلص العرب لا كذب أنا ابن عبد المطلب - لان والده صلى الله عليه وسلم لم يعيش طويلا حتى يبلغ مجد أبيه ، ولكن احتضر في ناضر الشباب تاركا ولده الاكرم الجدود - وما كان الرجل ليعد عند العرب رجلا حقيقيا الا اذا كانت مناقبه تهدى الناس نحو مستقبل افضل واكمل وكانت تجربته في الحياة قد رسمت بنية أحفاده فوجهتهم نحو مثل أعلى فهم كما قال القائل القديم -

هينون ليئون ذوو كرم - سواس مكرمة أبناء إيسار

ان يسألوا الحق يعطوه وان خبروا

في الجهد أدرك منهم طيب اخباري

وان توددهم لا نوا وان شهوا

ككشفت أذفار شر غشير اشعاري

لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا

ولا يبارون ان حاروا باكشار

من تلق منهم لاقيت سيدهم

مثل النجوم التي يسري بها الساري

تلك أمثلة ذات دلائل وأبيات ذات مغاز ، ونحن

نتقدم بها الى من يجهلون الأصول العريقة ويتبعون يعلم

أقرب الى الجهل ، ودرس أقرب الى العبث ، ولينهم يرجعون

الى تراثنا العربي فينهلون من أصفى الموارد ويستقون من

أطهر البنايع .

الرياض - عبد العزيز عبد الله الربيعي

النواحي

تسليم : حسن إسلام

قصة قصيرة بقلم الكاتب الروسي :

أيون دروتس

« ان هذا المؤلف يعرف عن الدنيا وعن أهلها أشياء كثيرة ، أخفق كثيرون غيره في ادراكها ... »

ما الحجم الذي يجب أن تكون عليه أي قرية . لتعتبر كبيرة ؟ هل خمس مائة مسكن عدد كاف ليجعلها في عداد القرى الكبيرة ؟ حسن ... اذا كان الامر كذلك . فان « كمينا فيك » قرية كبيرة فعلا ... لان فيها أكثر من ألف مسكن ... ولو أن أحدا . لا يعرف بكم تزيد مساكنها عن الألف . ولقد شاب أربعة من أبناء سر مجلس هذه القرية ، وهم يحاولون حصر هذه الزيادة ... وهامو ذا خامسهم ، وقد بدأ الشيب يفزوه ، رغم كونه لا يزال شابا

وأية هذا كله أن أهل « كمينا » نشيطون جدا . فهم دائما ما يشيغون راحلا ، أو في طريقهم لاستقبال قادمين جدد . ومن النادر أن يمر يوم واحد دون أن ينهائى فيه كوخ قديم في واحد من أطراف القرية . في الوقت الذي يطلع فيه على الدنيا ، وعلى الطرف الآخر من القرية ، بيت صغير جديد ، ويرنو الى العالم من خلال نوافذه المماعة .

زد على ذلك أن أهل « كمينا » مشهورون بروح الفكاهة . - وحذ لذلك ، على سبيل المثال ، مسألة الاحصاء : فأولئك الذين يعملون الى العيث أكثر من جيرانهم ، يتقدمون لتسجيل أنفسهم مرتين وثلاث مرات ، بينما يعمل آخرون على تجنب مندوبي الاحصاء جملة وتفصيلا ... ولا يحتمهم على ذلك غير فضول غريزي ... أي أنهم لا يتوخون من ورائه إلا أن يتبينوا كم ستطول الفترة التي سيقضيها امرؤ ما حتى يتذكروهم وان هذا كله لا يعني أي مشكلة في « كمينا » ، ما دام الاسم الأخير ، أو الكنية بادورارو ، مشتركة بين نصف أهل القرية ... حتى أن هناك أربعة أشخاص باسم ايفان ايفانوفيتش بادورارو ذاته . كما أن ثلث المعلمين ، وأكثر من نصف التلاميذ في مدرستي القرية ينتمون الى الكنيسة نفسها ... أما سجلات التفقد في الصنوف ففي كل منها صفحتان أو ثلاث صفحات مخصصة للكني المبدوعة بحرف « ب » .

ويقال : انه قبل ثلاث مائة سنة ، لم يكن في هذه القرية سوى شخص واحد يحمل اسم بادورارو ... وان هؤلاء جميعا هم الباقون من سلالة . وتصديق هذا الامر ليس بالشيء الهين : فبالرغم من وجود الكثيرين من آل بادورارو ذوي النسب المثبت ، فان بينهم أولئك الذين لا يستطيعون اثبات حتى قربانهم البعيدة .

ومع ذلك ، فان هناك امكانية كونهم جميعا منحدرين من صلب بادورارو الاول نفسه ، لان شذوئية رامة تتجع

المؤلف أيون دروتس

ولد في مولدافيا بالاتحاد السوفياتي من أب فلاح . عمل في الصحافة المحلية بعد أن أنهى دراسته الثانوية في مسقط رأسه . ثم انتقل الى موسكو حيث تلقى دراسته العالية في الاداب .

لهذا الكاتب عدة مجموعات من القصص القصيرة ، بالإضافة الى بعض الاعمال الادبية الأخرى . نال جائزة الدولة للاداب عام ١٩٤٧ .

وسما يقوله الناقد الادبي ف . جوزف في دروتس : « انه كاتب يجمع بين البساطة والتعقيد ... غير مبال لان يعرض روحه لتحريات الناس ... لكنه يذيعها بارهاف ، وبلا تحفظ ، في الرياض المزهرة ، وفي دافوسام الصيف الأزرق ... وفي طبيعة موطنه مولدافيا بشكل عام ... »

« وعندما تقرا له ، تجد نفسك مضطرا لان تحلل انطباعاتك ، لتكشف عن الجوهر والذي في سطره ... »

التواخية

بينهم جميعا ... الا وهي أن آل بادورارو في « كسينيا » يبدون استثناء ، يشتمون بأصوات رخيمة .. وفي أصواتهم من التناغم والجرس ما يجعلك لا تأسف — عندما يطالملك نفر منهم مجتمعين — على الوقت الذي تصرفه وأنت بانتظار أن يشرعوا بالفناء . وأنداك ، وربما للمرة الاولى في حياتك ، تشعر بالضيق من كنيثك أنت ... من يدري ؟! .. ربما كنت أنت أيضا مولودا كأحد أفراد آل بادورازو ...

وجوقة الترتيل في القرية تتكون من أفراد من آل بادورارو دون غيرهم .. وهم الذين جعلوا قرية « كسينيا » فيك ، كتسبب شهرة خاصة .. ومع ذلك ، فهم أنفسهم وراء الكثير من المتاعب ، فإذا فسح المجال لأي من آل بادورارو لكي يتحدث في اجتماع ما ، فسيمضي في الكلام الى أن تمل منه حتى نفسه ، وليس لأي من بني البشر من قوة الصراخ ما يمكنه من إسكات المتحدث . وآل بادورارو عشيرة متضامنة كليا فيما يتعلق بموهبتهم المشتركة ، وهم باستمرار يدعمون بعضهم بعضا . وفي جميع الأحوال ، عندما ينشأ جدل ما بين اثنين من نساء بادورارو ، يخبر نجم المثرثرات الحليات ، لأن القرية بأكملها ، ستعرف بالضيق ، وبدون عون منهن ، كيف بدأ النقاش وكيف انتهى .

الحقيقة ، أن بيت القصيد ليس هنا ... و « كسينيا » كما ورد قبل قليل ، قرية كبيرة تماما ، وأكثر من نصف سكانها من آل بادورارو ؛ كما أن من النادر أن يمر يوم واحد لا يولد فيه فرد جديد لعشيرة بادورارو ، رغم أن أكبر المسنين بينهم ، ينتقلون الى العالم الآخر بين الفينة والفينة ...

اه .. ليترك تسمح النساء من آل بادورارو وهن يبدنن ويولدن في أحد الماتم .. يا للعجب من أساليبهن في إيجاد الأسباب من أجل اخلاق العنان لانفسهن . فندسا يرين ابن اخ أو ابن أخت في طريقه الى الجندية ينحن ويولدن ؛ وإذا يضيع أحد المجلول في الغابة ، أو ينشب جدل بينهن وبين حوماتهن حول أزواجهن ، أو بينهن وبين أزواجهن حول حوماتهن ، تراهن ينطلقن في النحيب والولولة ... وعندما تبقى تتذكر أن « كسينيا » قرية كبيرة تماما ، وأن

أكثر من نصف سكانها هم من آل بادورارو ، وأنهم جميعا يشتمون بأصوات ذات تناغم وجرس ، عندئذ ...

والواقع أن النساء من آل بادورارو يجدن متعة في نواح الاخريات وولولتهن تعادل متعتهن في تواجهن هن .. إذ يراقبن الامر عن كثب وهن ساكنات ، ويرهفن المسامح لجمل المشهد ، ليسهن فيما بعد ، في تحليله من وجهات النظر الادبية والموسيقية والفنية ... أما بالنسبة للرجال فسيكون لهم في هذا وقت مصيب حقا . فالرجال القادرون على تحمل منظر الدموغ قليلون ، ونحيب النسوة من آل بادورارو وعويلهن يكون دائما مصحوبا بمعيطات مسن الدموغ .

ويتعرض المثقفون المحليون لاصعب الاوقات طرا ... علما أن لكل منهم موقفه الخاص من هذا التواخ والمويل . فمدير المدرسة الثانوية ، وهو مختص بالتاريخ ، ينظر الى الامر من وجهة نظر تاريخية .. ولاتجاهه الملحمي هذا ، تأثير مهديء عليه . والطبيب المقيم ، وهو من هواة الفنون الشعبية ، يهمل لكل دفعة جديدة من النحيب على أنها صفحة جديدة في المخطوطة الضخمة التي يعدها تحت عنوان « الحكمة » . أما مدير المزرعة الجماعية ، وهو مهندس زراعي شاب ، وكنتيته ، طيبا ، بادورارو ، فلم يكون رأيا نهائيا حول الموضوع . والمويل ، بكل بساطة ، يؤتبه نوعا من الورد في حلقة ... وآخر آرائه أن الناس هم مجرد كائنات بشرية ، من العوالب ، اذا دامها الاسبى والحنن ، أن يسمح لها بالتعبير عن أحاسيسها بالطريقة التي ترتبها ...

لكل امرأة من آل بادورارو أسلوبها الخاص في الندب: بعضهن ينظمن كلماتهن ، وأخريات يغضن النشر . واللواتي يتمتعن بموهبة أفضل يرتجلن الكلمات أثناس ممارستهن للنواخ ، بينما تعتمد أخريات الى الاستفسادة القصوى من النصوص المتوفرة . وهنا لا بد من التاكيد على أن هناك عينات وليدة التأليف ، كما أميط اللثام عن بعض حالات الانتحال .

وعجائز آل بادورارو ، ذوات الخبرة بهذا الشأن ،

النواصة

وعندما يطل فجر اليوم التالي يكون القفل معلقا على الباب من جديد ، بانتظار طلوع الشمس ليتدفأ بنورها .

في أحد أيام امسيف الحارة شبت النار في البيت بشكل مفاجيء وطبيعي انه كان خاليا من سكانه . وم يدر أحد كيف بدأ الحريق ، انما في الوقت الذي كان فيه الجيران يهرعون نحو النيران ، كان البيت قد أصبح مجرد جدران متفحمة ، وكومة من الرماد المتوهم . وانذاك ، تقدم الجدد نيكيتا ، اكبر سني آل بادورارو في القرية ، والتقسط القفل ، وفركه بالأرض ليبرده ، ثم قال وهو يتنهد :

« يا للنواح والمويل للذين سنسهما الان !!! »

بعد ذلك بقليل وصل مدير المزرعة . كانت عربته تزحف في الدرب الضيق بطيء ، جاهزة لكي تعود ادراجها في أية لحظة . ولم تكن ايليانا قد حضرت بعد . ومهما كان الامر ، فان منظر الجدران المتفحمة ، والبقايا الحزينة - هذا المنظر نفسه - كان فيه من الاسى ما حقن حنجرة المدير بالورود . ففضى في التهام سيكارته . وكرع كاسا من الماء كان أحد الجيران قد دسه له . ثم اشعل لفاقة اخرى وسأل عن مكان ايليانا . . . وقيل بانها كانت تذري القمح في مزرعة جماعية مجاورة .

ودعا المدير كبير آل بادورارو لمرافقته ، ومن ثم انطلقا معا باتجاه المزرعة المجاورة . ولم يطل حديثهما أثناء الرحلة ، لان المزرعة كانت قريبة جدا ، ولان الطريق كان صالحا .

وفور توقفهما قرب كومات القمح نزل الجدد نيكيتا من العربية ، والقلق باد عليه . وقرعص المدير بجانب احدى كومات الحب ، ثم غرف منها حفنة ، وتركها تتساقط من بين اصابعه وكأنه يعدما حبة حبة . أثناء ذلك ، كانت ايليانا قد امتت لتوما فرش منديل نظيف على العشب ، وهمت بتناول اللقمة الاولى من زواذتها . وما أن طالعها منظر الرجلين حتى توقفت . ونظرت الى الجدد نيكيتا بقلق ومشى الجدد باتجاههما مدعيا المرح ، وقال :

« اسمعيني يا ايليانا . . . »

وزاغت عينا المرأة المسكينة ، وبدأت وكأنهما تطلبان النجدة : ثم همست :

أثرن معركة من أجل لقب البطولة . . . لكن كفاحهن كان محصورا في تحديد المركزين الثاني والثالث . . . الخ حيث أن المركز الاول يزال ، منذ عشر سنوات ، وقفا على ايليانا بادورارو ، الارملة الشابة ، ذات العينين السوداوين الجميلتين . وقد يبدو هذا غريبا ، حيث لم يعرف عنها أنها مارست التدب الا في مناسبتين ، أو في ثلاث مناسبات كحد أقصى . . . وكانت الاخيرة ، منذ ثلاث سنوات تقريبا ، عندما توفي زوجها . لكن تلك الايام ستبقى في القرية ، وإلى الابد ، تاريخا وذكرى لاشد الايام حزنا ، ولا يفوقها الا ايام الغزو الفترتي .

ويشاء حسن الطالع أن يكون مدير المزرعة الشاب غائبا آنذاك ، حيث كان يكمل دراسته بعيدا عن القرية ، وبالتالي وفر على أذنيه سماع تلك المناحة المشهورة ، التي كانت ولا شك ، مشتركة فيه أسوأ الاثار ، وخاصة بعد ما صار يعرف عنه أنه يكاد يفتن بمجرد سماعه لوصف تلك المناحة وهذا ما حدا به الى تجنب تلك الارملة بل الواقع أنه كان يتشاهم الى حد ما .

كانت ايليانا امرأة هادئة متواضعة . وكانت من الجدد والنشاط في عملها بحيث أنها كانت ، في كل حريف ، تتلقى مكافأة على اتمامها تتساوى من حيث النوع ومن حيث القيمة النقدية مع مكافآت القيادين في مجموعتها . وكان أطفالها اليتامى الثلاثة ، باستمرار ، نظيفين وهندامهم مرتبا . . . حتى أن اكبرهم ، وهو الثاني في صفه ، كان يحاول أن يحرز الدرجة الاولى . . . وهذا ما جعل جميع صغار آل بادورارو الآخرين في القرية يتكبرون عليه سعيه ، لان في عشيرة بادورارو من التلاميذ النجوم ما يكفي تماما . وكان بيت ايليانا الصغير الهادئ ، والواقع في طرف القرية ، مستقوفا بالخش البني . وعلى بابها كان يتدل ، معظم الاحيان ، فقل عتيق يدق في نفسه في الشمس ، بينما تكون سيدة البيت منهمكة في الحقل ، ويكون الأطفال في المدرسة وفي روضة الأطفال ، وعند المساء ، كانوا يهودون الى البيت على نسق ، مسكين بأيدي بعضهم بعضا ، وفي اثرهم امهم ايليانا . وما أن يلجوا البيت حتى تصاعد جدائل الدخان من المدفئة ، ويبين النور في النوافذ .

النهاية

« أيها الجد نيكيتا ... »

بادورارو كلهم الى حيث سيكون البناء. وعملوا حتى المساء، ومن ثم طوال الليل ، ، وكانوا لا يزالون يعملون عندما طلع صباح اليوم التالي . لقد هدسوا بقايا البيت القديم ، ونقلوا الانقاض كلها ، بالمربات اليدوية ، الى الوحدة الواقعة في ضاحية القرية .

بني البيت الجديد في منتصف فناء الدار ، تحت شجرة جوز همرية . وجعلوا السقف من القرميد ، ليعلمنوا الى انه لن يحترق أبدا . كما جعلوا أرضية الغرف الثلاث، وأرضية المطبخ ، قوية ثابتة ، ودهنوا الابواب والنوافذ الجديدة باللون الاخضر الفاتح ، وهو اللون ذاته ، الذي كانت عليه في البيت القديم .

وبحلول مساء اليوم التالي ، كان اكبر سني آل بادورارو الوحيد الذي بقي في الفناء . فثبت قفلا على الباب الجديد ، ليكون اقفاله ممكنا عندما تدعو الحاجة لذلك . أما الباقون فكانوا جميعا على الطريق العام خارج الدار . وهناك .. وقف طيبب القرية وحده ، غارقا في افكاره ... وربما كان يتحسر على حقيقة انه حرم مما كان من المحتمل ان يكون افضل مقدمة لمخطولته الضخمة .

وعلى حين غرة ، أطبق الصمت على الحشد . فقد ظهرت من الطرف البعيد للطريق ، امرأة صغيرة نحيفة ، يتبعها ثلاثة أطفال يمسكون بأيدي بعضهم بعضا . وتقدم هؤلاء ، ايليانا وأطفالها ، ببطء في اول الاسر ، ثم مالثوا ان اندفعوا جريا ، ثم خففوا من اندفاعهم ، وعادوا كن يرحفون . وتوقفت العائلة الصغيرة خارج البوابة ، وارتفعت يدا الارملة نحو السماء .. ثم أهورتا كالمقصوفين، فرق أكتاف الاطفال بينما انهمرت الدموع على خديهما ، وصارت شفتاهما ترتعشان بقوة . وهنا ، وللمرة الثانية ، تحول لون اكبر الاحياء من آل بادورارو الى ارجواني ، وصرخ كما لو كانت ايليانا ابنته هو .

« لن نتقبل أيما من حماقاتك .. ! أسمعني .. ؟ هيا .. والقي نظرة على بيتك الجديد . لم يبق علينا الا ان نظليه باللون الابيض .. ! »
ليس من يأكل العصي كمن يعدها .

لكن بادورارو المجوز - وهنا ظهرت معقولة السبب الذي جعل المدير يدعو لمرافقته - الذي تحول لونه الى ارجواني ، صرخ ، كما لو كانت ايليانا ابنته هو :
« كفي عن هذا ... لن أتحمل أية حماقة ! ... »
وارتخت العينان السوداوان ، وتمتعت ايليانا :
« أيها الجد نيكيتا ... »

وقاطعها الجد بقوله : « اصفي الي أيتها المرأة الحمقاء ... لقد احترق بيتك منذ قليل ... هل تسمعينني ؟ »
واضطر بادورارو المجوز للتوقف عند هذا .. لان المدير الشاب كان كالمشده ، ولان ايليانا أخذت تعصر يديها ببعضهما بعضا . ثم تابع الجد كلامه :

« اصمتي أيتها المرأة ... لقد وعد المدير بان يكون لك بيت جديد ، تعودين اليه في الغد لتجديه كمسكن لك .. وسيكون احسن من أي بيت سبق لجدك ، او لجد جدك ، ان امتلكه ... ذلك ان لم تندبي ... وسينام أطفالك الليلة في روضة الاطفال ... ونحن في غنى عن .. »
انت تعرفين ماذا .. »

وبدت عينا المدير تستعطفان ايليانا ، وكأنهما تقولان :

« رجاء .. ابذلي جهدك .. ولا تولولي ... اني احبك .. »

بالإيليانا المسكينة ... صارت تضغط على أمانتها .. تكبل كفيها المليئين بالندوب ... وتمتل قبضتها الواحدة بالآخرى .. بينما صارت سواك من الدموع تتحدرد على وجنتيها اللتين لوحتهما الشمس ، لتتناقض من ذقتها على ركبتيها . وتتفشي في بقمطين رطبتين على طرف ثوبها لقلتي .

وخلع بادورارو المجوز قبعته ، وفرد جبينه ، ثم قال وهو ينتفض المصدم ان انصرفا الى البكاه يعني انها لن تولول .. هيا بنا .. دعنا نبدا ببناء بيتنا الموعود ..
.. وفلا ، بناو لايلينا بيتا .. فصرخ اندفع آل

النهاية

وبرزت من الحشد امرأة عجوز ، ذات شعر أشيب ، ومن آل بادورارو ، ثم تقدمت من ايليانا قائلة :
« انها لفكرة صائبة » هيا بنا الى البيت لنلقي عليه نظرة من الداخل »

وزحف الجمهور خلفهما بصمت . وبدأت عجوز آل بادورارو الكلام بالتصريح بأنها أحبت البيت الجديد .. ثم قال الأطفال انهم أحبوه .. حتى أن أكبرهم تمكن من أن يخط بقلم الرصاص : « ب » بادورارو ، على الدهسان الطري ، مما جعل عجوز بادورارو توبخه . أما أصغرهم ، فقد خلف أثر بلل على الأرض ، وذلك اما بسبب اضطرابه ، أو لان الجميع قد نسوه ، وهذا ما دفع عجوز بادورارو لان تربت عليه مهددة من روعه .

كان البيت ، بالفعل بيتا جميلا . وبدت فيه ، على السدة ، أكياس الطحين ، كما زود بأسرة جديدة ، ومصباح كاز مملو موبجانيه علبة كبريت .

بعد فترة ، بدأ الجمهور بالانصراف . وعندما هبط الظلام ، شمت نوافذ البيت الجديد بالنور ... ووضعت ايليانا الأطفال كلا في فراشه . لكن شمع ضوء النوافذ استمر حتى ساعة متأخرة من الليل . والواقع ، أنه لم يكن باستطاعة أحد أن ينفو بسرعة في تلك الليلة - فذوو الالسنه المابئة يتوقعون أن تنفجر ايليانا بالولولة في أية لحظة وبأي شكل من الاشكال ، بصرف النظر من أن أطفالها لم يتمكنوا بلا سقف خاص برؤوسهم سوى ليلتين اثنتين فقط . لكن أي امرأة من آل بادورارو لم تستطع بسهولة أن تقاوم الرغبة في التدب على حقيقتها أن أطفال ايليانا ظللوا مشردين لمدة يومين كاملين .

لكن ايليانا لم تولول ، لا آنذاك ، ولا في الليتين الثانية والثالثة ، رغم أن المصباح في البيت الجديد بقيت مشواة حتى الفجر .. وكانت ايليانا تبدو منهمكة وحزينة وصار كل شيء يتزلزل من بين يديها .. بغض النظر عما كانت تقوم به .

وكان اليوم الرابع يوم أحد . وطلبت ايليانا من

احدى خالاتها أن تمكث مع الأطفال للمناية بهم ، ريثما تنطلق هي الى الغابة فتجمع بعض الفطر . فقد تكهن الناس بأن الغابة ملائ بالظهور على أثر المطر الاخير الذي هطل أثناء طقس دافئ . وعرض عليها بعض جيرانها أن يرافقوها ، لكن ايليانا كانت على عجلة من امرها لسم تنتظر أحدا .

وعلى الرغم من أن المطر كان قد هطل في جو دافئ ، فقد ظهر أن الظهور كانت قليلة في الغابة ، ودليل ذلك أن ايليانا عادت في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم ، وليس في سلتها الا حوالي دزينة من تلك النباتات والواقع أن الالسنه المابئة تناولت ذلك على أساس أن الظهور فقدت قدرتها على المقاومة والاستمرار ... لان امرأة سمعت ، في حوالي الظهيرة ، وهي تنوح وتولول في أعماق الغابة .. وكان في الطريقة التي استقبلت بها ايليانا هذه التاويلات ، ما يجعل الدم يتجمد في عروقك . لكن الالسنه المابئة لا تكف أبدا عن التكهات .

وعلى العموم ، فقد كان هناك أمر ما يثير الريبة فعلا : اذ منذ يوم الاحد ذاك فصاعدا ، أخذت ايليانا تتحاشى المدير الشاب . وعندما كانا يلتقيان صدفة ، تمر بسرعة . وعيناهما في الارض .. وقد حدث هذا مرات عديدة ، الى أن تصدى لها المدير في آخر مرة وسألها : « لم هذا الحزن كله يا ايليانا ؟ »

ورفت ايليانا رأسها ، وكانت أهدابها ترف ، ثم ابتسمت بعينيها ، وتساءلت :

« وهل أنا حزينة فعلا ؟ »

وابتسم المدير الشاب أيضا ، وقال : « لا بد أنني كنت أتخيل هذا .. »

وابتسمت ايليانا للمرة الثانية ، وهي تتمركز ، لتتابع طريقها بخطى عجل ، وبرأس مرفوع ... وكانت ظلال اشجار الاكاليا على جانبي الطريق ، تنعكس في عينيها السوداوين الصافيتين .

تلك واماتنا

بروي الجبل

لقحطان والفد المأمول
وتلك الربى وهذي السهول
لقحطان موطن وقيل
في شباب الدنيا عريض طويل
لأعدائه القنا والنصول
وعليها الغزاة والأسطول
والفراخان ماؤنا والنيل
خضراء أين منها الذبول
مندى معطر مطلول
غدير صاف وظل ظليل
الواني ويكي على الشهيد النخل
وعير سكب وأيك بلبل
قانيات والليل طرف كحيل
سحر منمنم مجهول
سعة من جلاله وشمول
معنى بسرنا مشغول
ألح الهوى وتم الوصول

سالف الشرق ملك قحطان واليوم
وله هذه الجبال المنيفات
والسموات والكواكب في الشرق
والنبوات والفتون وملك
أرپحي تكاد تورق بالنعى
قد ورتنا البحار من عبد شمس
أرز لبنان أيكة في ذرانا
ورياحيتنا على تونس الخضراء
كل روض في الشرق من دم آبائي
ولباناتهم على كل صحراء
حيث يحنو الصفصاف نغمى على
كل تكبيرة على الرمل نفح
ذكر الله فالهجير شفاء
لنفي والدجى على هذه الصحراء
لنفي والدجى فأفنى كلينا
أي سر نريد في الكون؟ والكون
نحن كون، لا كائنات ضعيفان

تلك واحاتها الظليلة ، والظـلـ.
زاهرات السماء حيا بها قومي
فعلى كل نهلة من شذاها
وحين الى السماء كما حن
رب !! روي طليقة في سماواتك
بعد الفرق بين روي وجسمي
أنت يارب غاية ، والى الغاية
لك حي ومنك حي فهل يعطى
لك حي فهل لفقرى اذا أهدي
عبراتي عبادة وابتغال
وصلاتي تأمل ، ومناجاتي
وبلائي ان النعيم الذى اوجو
لم يضع في الظلام نورك عن
معدن الخير والجمال المصفى
وأنا السائل الملح ويجلو
ويمناى ألف كنت عطايك
رب نعماك أن تنضر قلبي
رب قلبي زيته لحيماك
هيت في سررتي لك ربي
جوهر القلب وهو ابداع كفيك
وبقلبي رضوان يهفو لمراك

غريب على الرمال نزيل
من الحور في السماء رسول
شفة عندم وخذ أسيل
الى نعمة الشفاء العليل
والجسم موثق مفلول
جدي أثم وروحي بتول
انت الهدى وأنت السيل
من السائل الكريم المنيل
الى كنتك الفنى قبول
وشهقي التكبير والتهيل
خشوع ، وزفرتي ترتل
نعيم مسوف مطول
قلبي ، فقلبي الى سناك الدليل
وجهك الخير الكريم الجميل
وحشة الذل أنك المسؤول
وما في يدي الا القليل
بحياك فهو صاد محيل
فمر تسكب بقلبي الشمول
سدره المنتهى وطاب النزول
على ما به كريم أسيل
وندى سررتي جبريل

شفة

أسد نخلة

في (الأشرفية) يوم جئت وجثتها
ذقت الثمار ونكهة ان لم تكن
الكرم أوردق يوم جئت عريشه
وترنح المنقود يقطر لذة
يا قوتة حمراء غاصت في فمي
لولا نعمة ما بها وحنو ما
ملساء مر بها اللسان وما درى
وكأنما بخلت علي بلفظة
من مرقص النزل ارتجلت قصيدي
أفرغت من شم ومن ضم ومن
شعر بأشهى الطعم من أشهى فم
والذ تأدية وأفصح منطقا
نفسي على شفئك قد جمعتها
هي نكهة العنب الشهي فأختها
أروي عن الشفة التي قبلتها
لما انتنيت فقلت اني ذقتها
وشقيقة النعمان قد نولتها
بي في الهوى للقمته وللكتها
لولا تتبع طعمها لأضعتها
وهناك في كتب المير قرأتها
وبكل واد للهوى رددتها ..
متمات تنفك في الحروف وصننها
طابت قوافيه وأسعد بختها
اغضاء عينك يومذاك ، وصمتها

أنايخ ما فتال الأقحوان

نجم الدين الصالح

وهب على الوجد عطر الجنان
ورود الجمال ، وضوء الجمال
تكابد في صدرها حلمتان
بما هو خلف حدود الزمان
وما لم تطوق يديه يدان
وحقك الا ارتكاس السنان
وحيرني أمر هذا الرهمان
وهاشي رموشك يا مقلتان
ولولا امتشاق ولولا افتتان
يلذعني خلفه سالفان
أتابع ما قاله الأقحوان
كرف السنونو على السنديان
تقود شبابي كالديبدان
.. وأهصر في الفجر غرض البنان
تذر عطورك خلف الكمان
... ويكأ كل المطور الحسان
كما تشرب الحسن غمازتان
ويذبح نهدك سرى المدان
وأطلق خلف شبابي العنان
وأقل قبل فوات الأوان

تملكت الخمر في كوبها
أريج تطوف من حوله
وذابت أنوثة هذى التي
يحدثني عمق أحداقها
وما لم أذق لها مثله
لماذا أجب وما في يدي
رمانى بآلم يطق خافقي
فصفق على الناب يا سحرها
فما كنت لولا فتون عميق
وما كنت لولا النداء الذي
مليحة .. ها أنا عبر الشذى
وأحفر في الشمس الياذني
وأحضن كل الجراح التي
أنت ألم النجوم الوضاء
وأرشف كل الحروف التي
يظلل قلبي بروج النهد
وأشرب من ضوئها ما أشاء
أنت أقدم كفارتسي
وأغسل جرحي بضوء جديد
أنت لأرجع تفاحتي

زهرة

ما بصغيرك

بين الوردقات أفكار ملونة

كأنها شفق غالته أضواء

فكر يروح مع الأنسام منتشرا

وفكرة في مطاوي العطر عذرا

وفكرة في فم النحل الدؤوب على

دمع الصباح وفكر مصه الداء

وفكرة في سوافي الريح بائسة

وفكرة في لهاث القيظ عمياء

هذي مخيلتي في كل آونة

وجلى يبيت بها سقم ، وأهوا

يا مرسل النور ! اني تائه ابدا

قلبي كقافلة والممر صحرا

هات الرشاد لنفسى والضياء الى

قلبي والا أضاعتني الأدلاء

بائعته الجوى

محمد منذر لطفي

فتبعت .. ورنيت بطرف ناعس
همسا شقيا .. من غرام بانس
ويلوب كالمحوم لوبسة فارس
في الشارع المهجور مقلة حارس
ضجت فجورا بالضجيج الخامس
تبت يد الساقى .. وكف الفارس
حتى غرقت ببحر ليل داس
في روضك الغض الندى المائس
فخطرت بين مضاجع ومجالس
حدثا .. فأرقه هتاف الهاجس
بالشر والاشرا .. وقعة « داحس »
وغرسته في طهرك المتقاعس
فنحرت نفسك بالهوى المتنافس
تتمشقين صدى الرنين الهابس
يلهو الجميع بروضك المتجانس
حدث .. وذا كهل الغرام اليانس
فلقد قضيت على العفاف الدارس
في الحب - أن يهوى سلافة عانس
يا أنت يا ذات الازار الناعس

مرت بجانبه .. فأطلق آهة
فمضى بجانبها .. وراح يثها
ومضى يزف لها التحية خلصة
حتى اذا غاب الرقيب .. ولم تلح
قلت .. فكان ضجيجها في ليلة
يا أنت .. يا بنت البغاء على المدى
من فجر البركان فيك صغيرة
من أطلق الذئب الأكلول ونابه
من ألهب الشهوات فيك عثيفة
ونشأت نشأة شادن عرف الهوى
وتصارعت قيم بنفسك .. وانتهدت
أشهرت في وجه الفضيلة خنجرا
وتنافس العشاق حولك في الدجى
وغدوت لاهم لديك سوى الغنى
ومضيت في درب الهوان صيبة
هذا يحيى .. وذا يروح .. وذا فتى
بنت الهوى .. بالحب لست جديرة
أولى لقلبي في الحياة - وطبيها
ودرجت في عرف الهوى ألموبة

حوار

استور الجندى

- يا شاعرا ألف السهاد طويلا ... أنظّل وحدك ، تائها ، مذهولا ... ؟
- ضحك الربيع ، وهومت أطياره ... وبقيت أنت ، معذبا ، مخبولا ...
- فيم التكر للحياة جميلة ... والعمر أوشك أن يروح عجولا ... ؟
- فانس الهموم الكاسرات هنيهة ... واشرب خمورك ، بكرة ، وأصلا ...
- واسخر من الزمن الجبان ، وأهله ... ودع النفاق ، وحارب التدجيلا ...
- شرف المروءة ، أن تعيش مكرما ... والموت ، حين تؤمل المأمولا ...
- أطرقت من خجل ، وألف جنازة ... في الصدر ، تلمن حلمي المجهولا ...

غدا تمرين

علي عبد حسن

لا الدرب ينمر خطوي ، لا الأزاهير
نفرت حتى القوافي فهي شاردة
لملت عطرك من يتي أترحل عن
هنا بقايا على وجهي على شفتسي
وللمي الزفرات النار .. وارتحلني
وللمي عن جفوني ما سكبت فلن
غدا بصدرك تهوى الف عاصفة
غدا تمرين قربي نصف غامرة
وترعين بقايا الطيب باكية
لاترجعي .. ودعينا في تفرنا
هنا وقفت هنا حدثت وارتشت
هنا ضفرنا حكاياتنا وعذبنا
وقام في مقتلنا سرها وغفنا
دعي بواكير حب ، وارحلي وخذي
دعي بقية عطر منك وارتحلني

ولا تنقر شباكي المصافير
عني وما زادني في وحشتي النور
هذي الشفاء أنساها المزامير
فلعلميها تشتها القوارير
والوشوشات اللظى لا الذنب منفور
تطيل غيتها هذي الشحارير
لن تستكين بنهديك الاعاصير
جفنيك والهدب بالاحلام مخور
على يدى وتقولين : المقادير
فقد يحن الى المهجور .. مهجور
كاللحن في الشفة الكسلى التابير
من الحكايات منشور ومضفور
على الضلوع الشكالى فهو مقبور
كل الذى شئت ولتبق البواكير
غدا تحن الى الكرم التواشير

أنا وأنت

شوقي
موريس عيسى

فما يفلق باب	ان أنت فتحت روحي
كما يمر السحاب	في خاطري لا تمرى
فيك الضنى مستطاب	فيك التأذي لذيسذ
أشهى جليس كتاب	كوني : كتابي المدمى
ان الجنون اغتراب	كوني : اغتراب جنوني
يضيع فيه الجواب	كوني : سؤالا عصيا
يجوع فيها السراب	أنا وأنت صحارى
مفازة ، لا تجاب	بيني وبينك حزني :
جسمي وروحي خراب	لا تسكتيني حطام
منها اليها المتاب	يا متخنا بالخطايا
فهل يقود شراب ؟	ما قاد صحو اليها

انتظار

مصطفى عكرمة

.. ورحت ليلة كان الوعد أنتظر وقد تسر مني السمع والبصر
الصمت أيقظ حولي كل هاجسة كأنما الصمت للأفئاس معتصر
أود أغرق من مروا بأستلسي لعل بعض جواب عند من عبروا
وأستشف المير السمع على شذى يسري لصدري ، فأصحو .. ثم أنتشر
مضى من الليل ما طالت دقائقه والليل لولا انتظاري .. كان يختصر
فلم حتى انشغالي .. والظلام طغى وكاد يخبراه في مقاسي الشرر
تأبى سماع ضجيج مرهق أذني وقد أبى أن يرى من حوله النظر
تقاسمتي ظنون لا اعتداد لها وأسلمتني الى أصدائها الفكر
حتى شغلت عن الدنيا وعالمها وغبت عنها كأنني مسني الغدر
فأطبق الليل أجفاني .. ورق لها وما درى أن فيها الجمر يستعر
ياليت أحباب قلبي .. ليتهم علموا قد مر فوق عيوني كل من عبروا

عينك شعر

مسعود جوني

حملتك في قلبي ريمًا من الحب

ولونت أيامي بألف حديقة

وفتحت آمال الشباب براعصا

أحسك في نفسي رؤى شاعرية

سجايك : سحر انثوي ، ولفته

وعيناك شعر ، لا أقول قصيدة

فيا أنت ، يا ذكرى رفيف خيالها

دعي عنك أحلام الشقاء ، وبادري

ستبين في ذهني تبشير موعد

نرت أمانتي الموشاة ، فارقبسي

شريد الأمان ، مشرق درائم ، رحب

مواعيدها الخضراء ، عن مواعيدي تنبي

حفيتي

هاشم موصلي

فريدة في سنها الثامن
تفتح ثيئاً فثيئاً كما
ويا سحر عين كأن السما
فيا حسن ذاك المحيا الوضي
وصفحة خد تقاسمها الز
وتمشي فتحسبها روضة
وتمشي القلوب جنيا لها
وتدفع عنها عتي الرياح
إذا ما بصرت بها مرة
كان ملاكا فريد الجبال
سمت خلقا فندت قدوة
نمتها فروع تناهسى الى
ولا عيب فيها سوى أنها
وأغلى على القلب من ذاته
ومالي على الله من منية

محاسنها لم تد خافيه
تفتح سوسنة ناديه
اصطفتها لزرقها الصافيه
ويا طيب ذاك الشذا الفاغيه
نبق الفض والوردة القانيه
تنقل في رقة باديه
تحصنها بالرقى الواقيه
وتسمع بالنسمة الوائيه
تمددت تبصرها ثانيه
تقص في ذاتها الغاليه
على نهجها تنزل القانيه
اصول شمائلها عاليه
أعز وأحلى من العافيه
ولو أنه صخرة قاسيه
سوى عيشها عيشة راضيه

ضباب الوادي العميق

رضا رجب

تراني هل كبرت على غرام
فطفت مع الزمان كتاب حب
تراني هل كبرت على غرام
أمد الى السماء يدي بزهو
وينهل الضياء على اهابي
وتسلي مويجات عذاري
وتأسي بي طيوف طافرات
وينهمر الشذا ثلال نعمي
تري أنسى هواك ولا أبالي
شهدت به النعيم السرمديا؟
تريف الحرف معسولا نقياً
ملأت به المدى دفناً ودياً؟
فأقطف من ملاعبها الثريا
وينسجح البير على يديا
من التسمات سكرى الدل ريا
ترف على النعيم بمقلتيها
يعانقني ويحضن ناهديها
وقد سويتني بشرا سويها



ذريني للهموم وللأماسي
أجر ذبول أحزاني وألقي
وأنهل في سكون الليل كأنسي
ذريني في بحار من عذاب
فما عاد الهوى طفلاً غريراً
أرى الأحزان تحشد مالدتها
وللتذكار أبسط راحتيها
ورائي ذلك الزمن النويها
معطرة معتقة العبيها
يذوبني الأسى ثيا فنيها
يداعبني ، ولا قرأ مضيا
لتمحن المحب العبقريها؟



أجبك ؟؟ ، لا أجبك .. كان هذا لنا يوما ، وكنت هوى شهيا
 وحين سكت أشعاري تدلت اليك الشهب ضاحكة الميها
 تموج على يدك بحور ضوء ويسكبها المدي رطبا جيا



كبرت ، فلا الجمال يدوم بمدي ولا الماضي يطل رؤى نديا
 كما يأتي الهوى صعبا قويا يموت ، وينتهي صعبا قويا



أفكر فيك ؟! ، لا . هذا محال فما أطلعت طيفك ناظريا
 أفكر فيك ؟! ، يشتمني زمانسي يقول . تحب كاذبة بنيا . ؟!
 وما اني أمر على طيئوف من الماضي فأطويهن طيا
 وحين يقال : « كان لها محبا » أطأطيء هامتي خجلا حيا



دعي ما تدعين . فانت أنثى أذلت بالهوى رجلا .. نيا !!

عبر الصمت

مأمون مورلي

وأهيم خلفك يا نجيل الطيف يصلبني رجاء

في كل زاوية .. تلوح على الفراغ .. صدى لقاء ..

.. وتعود يا همّ المساء .. تعود مخنوق النـداء

في خاطر الشفق الجريح ... تعود يا وهم المساء

.. وتمر مرفول الرداء تلم شيطان الضياء

يا باهت الأنفاس عبر الصمت في جوف الخواء

يا نائراً ربح الموات ... على جناح الانطفاء

يا ساجي الأوتار .. آه ... جن في صدري الفتاة

اني هنا ... وهناك في كل ابتداء وانتهاء

في خاطري .. قمر ... يطل على الزمان ... بلاسما

مَواعِيِد

اسماعيل عامود

ترى هل تعود ؟ .. وكر زمان .. على متع اللهفة السالفه
وهلت شجون .. شجون تدف بأرضي وتجنني منى جارفه
تخط لدربي هواك العجيب ، وتبني رؤاك دنسى وارفه
ترى هل تعود ؟ .. وغام سؤال على مفرق الرغبة اللاهفه
ومادت حياة بنور سحيق تلملم وعدا .. طنى العاطفه
وغفل مثل شعور غريب بصدري .. وجاش كما العاصفه
ترى هل تعود ؟ .. فصدري الرحيب تفتح لليلة القاصفه
تكور فيه العبخ المذوب .. هناك .. لدى الذرو الواقفه
وراحت تلال .. تلال .. تموج ، وترقل ولهانة عازفه
- تقول : شبابي نداء الربيع ، على كرمتي تلمة راعفه
وبحري ، هذا اللجوم العميق لعيني ... للرحلة الهادفه
وتفري النبع .. يا للفتون تخضب بالبكرة الراكفه
ترى هل تعود ؟ .. دماشي شابت على ضفة الشفة الراجفه
لتنهل منها نيزد الحياة ، وتنعم بالبرهة النارفه
ترى هل تعود ؟ .. وضاعت رغب .. على مسرب الحيرة الواجفه
ومر زمان عتيق يرود مواعيدك الثرة السالفه

حياته :

ابن العميد هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، ويعود أصله الى أسرة فارسية من مدينة (قم) ، وكان أبوه وزيرا وكاتباً ، ولهذا نشأ ابن العميد في بيت أدب وكتابة (١) ، وقد قال الثعالبي (٢) : « ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلاله بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق :
(ألقي أباه بذاك الكسب يكتسب) »

أما أبو الفضل فلم يأخذه أبوه معه الى بلاط السامانيين ، بل تركه في رحاب (البويهيين) ما بين الري وكور الجبل وفارس يتدرج من منصب الى آخر ، بفضلته وذكائه وحسن تصرفه وبراعته ، حتى تمكن من الاستقرار في المكان الاعلى من وزارة ركن الدولة البويهى وكان ذلك في عام ٣٢٨ للهجرة .

الا ان ابن العميد لم يكتف بمنصبه الوزاري ، وانما اخذ يتدبر أمور الدولة ، ويخوض المأرك ، الى جانب كونه عالماً وأديباً ماهراً تخرج على يديه كثير من الادباء كالصاحب بن عباد ، و « عضد الدولة » وابنه أبي الفتح (٣) . وكان ابن العميد يقارض الادباء ، ويعقد المناظرات الفقهية والكلامية بين الفقهاء والمتكلمين ، كما كان يكتب الاسدقام شعرا ونثرا .

والحق .. ان أبا الفضل صاحب طريقة في الكتابة تفرد بها وعرفت باسمه .. في زمانه ، وما بعد هذا الزمان ، ورسائله اكبر شاهد على فنه الكتابي ، وهذا جل موضوعنا في هذا البحث .

ولخير خير موثوق يجمع لنا آثار ابن العميد خير (مسكويه) (٤) (انه كان اكتب أهل عصره) واجمعهم لألات الكتابة حفظاً للغة والغريب ، وتوسماً في النصوص والعروض ، واهتمام الى الاشتقاق والاستعارات ، وحفظاً للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام ، أما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات منها خاصة فما جسر احد ان يدعيها بحضرة الا ان يكون مستفيداً او قاصداً قصد التعلم .

وكان ابن العميد يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها احد كعلوم الحيل (الميكانيكا) التي يحتاج فيها الى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة ، وجر الثقيل ، ومعرفة مركز الاثقال واخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى الفعل (٥) واكبر الشعراء في ابن العميد هذا الجانب كما اكبروا فيه بلاغته وفصاحته ، وغير عن ذلك « المتنبي » تعبيراً بديعاً في قصيدته الرائية (٦) :

ابن العميد
عبد

احمد دوغان



من مبلغ الاعراب أنني بدمع
شاهدت رسلاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملكاً ، متبديها ، متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنسا
رد الاله نفوسهم والاعصرا

وفي الدالية :
عربي لسانه ، فلسفي
وايه ، فارسية امياده
خلق الله انصح الناس طرا
في بلاد اعرابه اكراهه

منزله ابن العميد الادبية والاجتماعية (٧) :
من هذا جميعه يتأكد له في عالم الادب والاجتماع
منزلة عالية ، وخير دليل على ذلك ما اجمعه ادياب عصره
ك (مسكويه) و (الثعالبي) و (ابي حيان التوحيد)
لانه قرن المركز العالي بأدب عال وهذا ما دفع معاصريه
الى أن يلقبوه بالاستاذ الرئيس ، كما أن الثعالبي قال عنه
« انه أوجد العصر في الكتابة » وقال مسكويه (وأما كتابته
فمعروفة من رسائله المدونة ، ومن كان مترسلا لم يخف
عليه علو طبخته فيها) وهذا ما دفع (ابن خلكان) الى
القول : « وأما الادب والترسل فلم يقارنه فيه أحد في
زمانه ، وكان كامل الرياسة ، جليل القدر ، ويدلك على
منزله وفرد الادباء والعلماء عليه من مختلف الاقطار -

ولعلنا ... نستزيد من المعرفة على معرفته من مدح
المتنبي له ، ونحن نعلم أن المتنبي لم يمدح الانسان الا أن
يكون جديرا بهذا المدح - وابن العميد مع هذه الصفات
والثقافة والنبوغ « كان قليل الكلام نزر الحديث الا اذا
سئل ، ووجد من يفهم عنه ، فانه حينئذ ينشط فيسمع فيه
ما لا يوجد عند غيره مع عبارة فصيحة والفاظ متخيرة او
معان دقيقة لا يتحسس فيها ولا يتعلم كما أنه حسن العشرة ،
اخلاقه طاهرة ، ونفسه زهية » .

اسلوب كتابته وفنه الانشائي :

وكما نعلم أن ابن العميد من رجال القرن الرابع
الهجري ... وهذا القرن غريب في طوره الادبي اذ وصل
الابرار الى حد ، الاعظم في استعمال السجع والمحسنات
البيعية كالجناس والطباق ... وعلى الاخص في دور (بني
بريه) وان النقاد ومؤرخي الادب يؤكدون على أن الاسلوب
المحل بالسجع والبيدع في الادب العربي قد بدأ على يد ابي
الفضل بصورة خاصة ، ولهذا عد (ابن العميد) أستاذا
لهذه الطريقة الجديدة في الكتابة ، ثم تابعه بعد ذلك بقية

الكتاب ممن تتلمذوا عليه كالصاحب ، ابن عباد ، او قلده
كالبديع والخورازمي وغيرهم (٨) .
ودليلنا على ذلك ما جاء في رسائله وفصوله التي
شملت مدرسة يدبية جديدة ، من اسلوب مطرز بالسجع
الجديد ، والالوان البيعية الاخرى ، ومن ذلك قوله من
رسالة وجهها الى ابن بلكا (٩) .

« .. وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك ، والقبال
عليك واهراض عنك » .

وان السجع في هذا العصر أكثر ما استقر في الانشاء
الديواني ، فخلقت لاجله الرسائل الديوانية والادبية ،
ولهذا تقول ... ان أهم مزايا الانشاء الادبي في ذلك العصر
التزام السجع والبديع والتأنيق في تخطيطه بالشعر والاشغال ،
ولابن العميد اليد الطولى في هذه المدرسة التصيدية .

وقد اجمع النقاد القدامى ... من معاصريه وغير
معاصريه على أن نشر ابن العميد صلة وصل بين عهد السجع
المنائق ، والمهد الذي سبقه (١٠) .

ولكن المحدثين من النقاد مختلفون في الحكم عليه ،
فبعضهم جعل صناعته وادبه ضربا من ضروب التسلية ،
واظهار البراعة والفلو والبعد عن الحقيقة في التصوير
والالمان في التدقيق (١١) ، وبعض آخر يرى غير ذلك ،
وانهم أمام عظمة عقلية تبدو كل كلمة من كلماته قلبا ،
أو روحا تنبض بالحياة ، وليست الكتابة عند ابن العميد
زخرفا للهر ، وانما الكتابة عنده ثورة عقلية ، أو
وجدانية ، ولهذا قال مناصرو هذه الوجهة (ان ابن العميد
في رفته وجزالته وغضبه وحنانه عبقري لا يعبث برجع
الحديث المأد ، وانما يجذب بأبداع الراي الصائب والقول
الرصين ١٢ .

رسائله الديوانية والادبية ومذهب التصنيع فيها :

واذا ما أردنا أن نحكم النظر في رسائله ، والتي
هي في الحقيقة المدرسة التي علمت مذهبه وفنه التجديدي ،
ولهذا نقف أمام صور عدة لاسلوب رسائل ابن العميد
وامهها :

أولا : أن أبنا افضل في كتابته كان يسجع . والسذي
يهنا من هذا السجع مذهب الصنعة ، والجدير بالقول :
انه على تصنعه يمتدل في ابرازه للسجع ، ولا يتقيد به
دائما لمعاصريه ، وكأنه يمدد الى ما مضى من العهد السابق
واساليب كثره في شهر رمضان (١٣) :

(اسأل الله أن يعرفني بركنه ، ويلقيني الخير في
باقي أيامه وختامه ، ويعجل نهضته وينقص مسافة ملكه
ودائرته ، ويرد علي غرة شوال ، فهي أسنى الغرر عندي ،

ابن العميد

وأقرها لمبني ، ويطلع بدوره ، واستغفر الله جل وجهه بما قلت ، ان كرمه وأسأله صفحا بقيقته ، وعفوا بوسمه ، انه يعلم خائفة العين وما تخفي الصدور *
فأبن العميد في هذه الرسالة يمزج السجع بسجع السجع مزجا منصفا .

ثانيا : وان سجمه بصورة عامة فقصير الفقرات سريعا ، وهذه ميزة بين سجع ابن العميد وسجع أصحاب الدواوين من قبله ، وفي هذا التقصير يوازن بين اللفظة وقرينتها - في المبارتين المتجاورتين ، وهذا ما نسميه بحسن الازدواج * مع وشيه المختلف ، واذا ما وقفنا عند رسالة الى بعض اخوانه فاننا نراه في أول الرسالة يكثر من السجع ، ثم لا يلبث أن يقلع عنه ، ويمزج به غيره من أنواع البديع * وفي هذه الرسالة يكثر من الطباق والاطناب محشي من الاستعارة والتشبيه * وفيها يقول (١٤) :
(أنا أشكو اليك ، جعلني الله فداك دهرًا خؤونا غدورا ، وزمانه حرجا فرورا ، لا يمنح الاريث ما ينتزع ولا يبقى فيما يهب الاريث ما يرجع ، يبدو خيره ثم ينقطع ، ويعلو ماؤه جرحا ثم يمتنع) -

ويبقى ابن العميد على هذا الشكل الى حيث يقول :
* ما هذا التالي بنفسك ، والتالي على صديقك .
ولم نبذني بُذ النواة وطرحنتي طرح القداة ، ولم تلفظني من فيك ؟ وتمجنني من حلقك ، وأنا الحلال العلو ، والبارد المذهب وكيف لا تخطرني ببالك خطرة ، وتمعرني من أشغالك مرة * ولعلك تمنع من علمي فيك وقد تولىيت ، واستأثلي لك وقد أبيت ، ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالأم الزلال ، ويلين من هو أقسى منك قلبا فيعود الى الوصال * .

ثالثا : ثم انه يتكلف البديع أحيانا ، وما ذلك الا ليشم منمته في كتاباته كقوله (١٥) :

* وصل كتابك فصادفتي قريب العهد بانطلاق ، من عنت الفراق ، وأوقفتي مستريح الاضهاد والجوانح من جوى الاشتياق ، فان الدهر جرى على حكمه المألوف في تحويل الاحوال ، ومضى على رسمه المروف في تبديل الاشكال ، الى أن يقول : (وكشف عن عيني صبايات ما لفت الهوى على بصري ، ورفع منها غيا با ما سد له الشك دون نظري ، حتى تحدر اللثاب عن صفحات شيمك ، وسفر عن وجوه خليقتك ، فلم أجد الا منكرا ، ولم ألق الا مستكبرا فوليت منك فرازا ، وملئت رعبا ، فاذبح قدس القيت جبلك على غاربك ، ورددت اليك ذمم عهدك * .

والرسالة كلها تمضي على هذا النحو من السجع

والعنابة بالبديع وكان أسلوبها ثروة زخرفية مصنعة ، فهو يعاني في كل لفظة ما يعانها ذلك الكادح في عمله وكلفته فيه * ولهذا تحول صناعة الكتابة عند ابن العميد الى تزيين خالص ١٦ -

رابعا : ونشير الى ميزة رابعة في هذه الرسائل ، وهي التقارب في اشارته التاريخية واللغوية والعلمية ، ومع الاسف فان ما وصل الينا من تقاربه يعد قليلا ، اذا قيس بالنسبة الى تقارب سواه ، ومن مثل ذلك رسالة بعث بها الى أبي الملاء السروزي في شهر رمضان وتذكر منها ما يشير الى التاريخ في قوله ١٧

كتابي * جعلني الله فداك ، وأنا في كد وتمب وقد فارقت شعبان ، وفي جهد ونصب *

وهناك رسالة تشير الى ذكر دعواه في العلم :
(وهبك أفلاطون نفسه فأين ما سته من سياسة فقد قرأناه فلم نجد به ارشادا الى قطيعة صديق أما حبسك أرسطاطاليس بعينه ! * * وأما الهندسة فانها باحة عن المقادير ، ولن يعرفها من يجهل مقدار نفسه ، وقدر الحق عليه وله ، وأما النحو فلن ترفع عن حدق فيه ، وبصر به ، ولست بالعروضي ذي اللهجة فأعرف قدر حدقك فيه ، ألا انني لا أراك تتعرض لكالم ولا أقر وليتك سبحت في بحر المجت حتى تخرج منه الى شط المتقارب * .

خامسا :

ونجد ان ابن العميد في رسائله الدبوانية يشعر بنفسه وحكنته في مخاطبة الملوك وسواهم (١٩) *
واليك هذا القسم من رسالته الى ابن بلكا عند استمعائه على ركن الدولة (٢٠) *

(تأمل حالك وقد بلغت هذا الفضل من كتابسي فستنكرها ، والمس جسديك ، وانظر هل يحس ؟ واحس عرقك هل ينضب ؟ وفش ما حنا عليك هل تجد في عرشك قلبك) وهل حلي بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، وموت سريح ، ثم قس غائب أملك بشاهده ، واخر شائك بأوله * ومن خلال هذه الرسالة نجد مجموعة من الامور الانشائية أهمها عدم التقيد بالسجع ، وميله الى الاطناب ، وكذلك اللهجة الخطابية وقصر العبارة فيها *

سادسا :

ونجد هناك ميزة يعمد اليها في رسائله وهي اللطفي اداء المعنى والبراعة في اسلوب المقاصد كقوله في رسالته الى عضد الدولة :

(وقد يعد أهل المقاصد في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها ، وانتفاض مررها ، والاحوال الداعية

أوقعت للشعر في أوصافها شغلا
بين القصائد - تروى والاراجيز
وفي قوله لابن خلد - أيضا: (٢٢)
فهت ككتابك في الاطعمة
فكم حاج من قرم ساكن
واوضح من شهوة بهيمة
وارث في كبدي غلة
من الجوع نيرانها مفرمة

وفي غاتمة المطاف لا بد لنا الا وأن نذكر شيئا يليق
بابن العميد ذلك الرجل الذي أعطى للادب فنا ، وأدبا
وجمالا فقد كان صاحب مدرسة في السجع العذب داخل
البديع ، وأعطى مجموعة من الرسائل الطريفة الادبية
الفنية الاجتماعية .

كما انه أعطى جمالا في هذا الذوق الادبي في رسائله
أليس هو عامل من عوامل النهضة الادبية والعلمية أيام
بني بويه ؟! بل كان ممدوحا وكاتبيا ومعلما ومقارضا
ومكاتبيا ، ولعله من أجل ذلك سمي باسم الجاحظ الثاني (٢٣)
وشاء القدر أن يخرج ابن العميد في أواخر حياته على
رأس جيش لقتال الزعيم الكردي (حسنية) ولكنه توفي
في الطريق في سفر عام ٣٦٠ هـ (٢٤) وقد نيفت علي ستين
سنة (٢٥) .

وقد المعصر ابن العميد ذلك المغمم باقتناء الكتب ،
والشديد الحرص على مطالعتها (٢٦) ، وعين الشرق ،
وأوحد المعصر في الكتابة والضارب في الاداب بالسهام
الفائزة (٢٧) .

حلب - احمد دوغان

الى ارتفاع جل الموجود منها ، وعدم الزيادة فيها الطوفان
بالتار والماء وليس عندي الخطب في جميع ذلك ما يولده .
تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتتسع قدرته ، فان البلاد
به لا يمدله بلاد ، وبحسب عظم المحنة بين هذه صفته ،
والبلوى بين هذه صورته ، كمظم النعمة في تملك سلطان
عالم عادل .

هذه صورة التصنيع عند ابن العميد ، وهذا مذهبه
في الفن الادبي وكأنه يعلم أنه كلما طال الزمن ، سل
الناس السجع ، وهو لذلك عمد الى السجع القصير الذي
لا يأخذ من قارنه زمنا طويلا .

قرضه للشعر :

ولقد ذكرنا في مقدمة البحث أن ابن العميد كان يقارض
الادباء . . . اذ أنه ينتهز المناسبات ويطلب من تلامذته أو
زائريه أن ينظموا شعرا ، فإذا سئل أحد الحاضرين عن
قصته قال له :

أي جهد لقيته وشقاء شقيتيه

قال لهم قولوا على هذا الوزن -

وكثيرا ما كان يتخذ من الأطعمة والحلوى ، والكتب
المؤلفة وسيلة للمقارضات الشعرية (٢٨) كقوله لابن خلد
في بعض الأطعمة :

هل غير شتى حبوب قد تعاورها

جيش الهاميس أو نخر المناخير

رمت الحلوة فيها ثم جثت بها

تحذي اللسان بطعم جسد مزوز

- ١ - تطور الاساليب الشعرية في الادب العربي من ٢٤٢ أنيس مقدسي
- ٢ - بنية الدهر ج ٢ ص ٢
- ٣ - من ١٢٨ - الادب في ظل بني بويه - محمود غناوي الزهرجي
- ٤ - تجارب الاسم - مسكويه
- ٥ - من ٢٤٦ - تطور الاساليب الشعرية - أنيس مقدسي
- ٦ - من ٢٥٧ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي - شوقي ضيف
- ٧ - تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أنيس المقدسي فصلا كاملا في
كتابه تطور الاساليب الشعرية في الادب العربي من ص ٢٤٨ الى

من ٢٥٠

- ١٤ - من ص ٢٤٤ ج ٢ زهر الادب
- ١٥ - من ص ٢٢٤ ج ٢ زهر الادب
- ١٦ - من ص ٢١٠ - الفن ومذاهبه في الشعر العربي شوقي ضيف
- ١٧ - من ص ٨ ج ٢ بنية الدهر
- ١٨ - من ص ٢٢٧ ج ٢ زهر الادب
- ١٩ - من ص ٢٥٧ - تطور الاساليب الشعرية *
- ٢٠ - من ص ١٠ ج ٢ بنية الدهر
- ٢١ - من ص ١٩٠ - الادب في ظل بني بويه محمود غناوي الزهرجي
- ٢٢ - من ص ١٤ ج ٢ بنية الدهر *
- ٢٣ - من ص ٥٧ ج ٢ وفيات الاميان لابن خلكان
- ٢٤ - من ص ٢٤٤ المجلد الاول - دائرة المعارف الاسلامية
- ٢٥ - من ص ٤٤٦ ج ٨ تاريخ بن الاثير (طبع اوردية)
- ٢٦ - من ص ٢٤٥ تطور الاساليب الشعرية
- ٢٧ - البنية للشعالي

- ٨ - من ٢٩٢ - الادب في ظل بني بويه
- ٩ - ج ٢ ص ١٠ - بنية الدهر للشعالي *
- ١٠ - من ٢٥١ تطور الاساليب الشعرية / أنيس المقدسي
- ١١ - من ٤٨ (ابن العميد) لتخليق مردم بك
- ١٢ - من ٢٠٢ الشعر الفني في القرن الرابع
- ١٣ - من ص ٢٤٤ ج ٢ زهر الادب

زائرة السيل

قصة : مدوح والي

١

للوهلة الاولى اعتقد حازم أن ارتجاج باب المنزل صادر عن الرياح الشديدة في الخارج ، ولكن حين تكرر هذا الارتجاج عدة مرات شعر بأن الطرق على الباب يشتد أكثر من الاول ... ولا بد أن هنالك شيئا ... ولكن من يأتيه في هذه الساعة المتأخرة من الليل ... وفي هذا الجو القارص الذي يجمد الاطراف ...

٢

أصابته الدهشة وارتستت على معيها علامات الذهول وهو يرى خلف الباب فتاة لا يتجاوز عمرها الخامسة والعشرين والدماء تنزف من يدها اليسرى بفوزارة ... وسرعان ما دلفت الى الداخل دون أن تنتظر بقبعة سؤاله عما تريد في هذه الساعة المتأخرة من الليل ... كان الخوف والذهول يسيطران على أعصابها مما جعلها تتمتعش في طريقها وترتطم بأحدى شجيرات الورد وتفوس قدمها اليمنى في الطين ، حين هم حازم باغلاق باب المنزل كانت سيارة النجدة تمر بسرعة من الشارع بصفيها المخيف ...

٣

كانت الفتاة منكشبة على نفسها كالقنفذ ، حين دخل حازم الغرفة ... لم يطل النظر فقد كانت الفتاة بحالة يرثى لها من التعب والخوف ، والدماء تنزف من يدها بفوزارة ... انقسم في وجهها وتوجه فوراً الى المدافاة والقها قلمتين من الخشب الكبير واكمل عمله بوضع ابريق الشاي ثم تناول من احدى الرفوف المثبتة بالحائط - ميكرويوم - وشاشا أبيض ...

٤

حين جلسا أمام المدافاة ، كانت نظرات حازم مركزة على عيني الفتاة الخضراوين وشعر بقرارة نفسه بأن هاتين العينين تخفيان بداخلهما أشياء كثيرة ... سيارات النجدة المسرعة في الخارج ... أصابتها في يدها ... دخولها الى البيت في ساعة متأخرة من الليل ... أسئلة كثيرة تجول في نفسه ولا يجد لها جواباً ... لكن أنا متأكد بأن هاتين العينين الخضراوين لديهما الجواب على كل استفساراتي ...



اعترض طريقه جندي يحمل رشاشاً أمريكياً سريع الطلقات
وطلب منه هويته • لم يطل البحث فسرعان ما وجدها في
أحدى جيوب معطفه وتناولها للجندي الذي أخذ يدرس
النظر إليها ••

— أين تعمل ياسيد حازم صادق ؟

— في بيتي ••

— ما معنى بيتك ؟

— أعني •• رسم اللوحات • فانا فنان تشكيلي •

— حسناً •• أرجو أن تذهب الى بيتك سريعاً • فبعد
ساعة من الان سينتج التجول بالمدينة •

— هل هناك شيء خطير ••

— لا يحق لي أن أتكلّم • ولكن تطارد جماعة من
الارهابيين تثير الشغب والبلبلّة •• قبضنا على عدد منهم
وستقبض قريباً على الجميع • اطمئن •

— شكراً •• سأحاول أن أعود الى البيت حالا •

•• لقد فهمت الان سيت اطلاق النار ودوي

سيارات النجدة الباردة • واعتقد أن الفتاة تعمل معهم ••
يجب أن أعود الى البيت سريعاً لئلا يحدث لها مكروه ••

٧

حين عاد حازم الى البيت توجه فوراً الى مخدع الفتاة •
لكن الدهشة أصابته • ولم يدر ماذا يفعل • لم تكن
بالغرض •• ترى هل اعتقلها الجنود ؟ ولكن لو صح هذا
الامر لوجد رجال الشرطة أمامه •• ترى الى أين ذهبت ••
الى أين •• كان يدور في أرجاء البيت كالمجنون لعله يجد
أثراً يدل على وجودها • وحين ذهب لاشمال المدفأة وقبض
نظره على رف المكتبة • كان هنالك كتاب شمري لبابلوا
نيرودا • وفوقه وردة حمراء • حين قلب صفحات الكتاب
وجد رسالة بخط الفتاة •••

٨

في اليوم التالي استيقظ حازم على صوت ارتجاج
باب المنزل •• فاعتقد للوهلة الاولى بأنها الفتاة •• لكن
بدل الفتاة وجد أمامه الجنود بأسلحتهم السريعة •• وصوت
قائدهم يأمر بتفتيش المنزل •• وسرعان ما جاء الجنود
بالوردة الحمراء والكتاب الشمري ورسالة الفتاة •
حين قرأ الضابط الرسالة • قال لحازم لقد أصبح
بأيدنا الان دليل قاطع على تعاونك مع الارهابيين ••
معدود والي
عمان — الاردن

كان الصوت المشعوب بالخوف والترقب يخيم على
أرجاء المكان • الفتاة عينها مركزة على نار المدفأة وكأنها
تناست وجود رجل بجانبها وانها بمكان لا تعرف عنسه
شيئاً •• والرجل ينظر الى عينيها وشفتيها بطرف خفي
ويترقت الجواب بين لحظة وأخرى على أسئلة العاترة ••
لم يدم الصمت طويلاً فسرعان ما دوت سيارة النجدة
بصفيرها الخفيف وأعقب ذلك طلقات نارية من أسلحة سريعة
الرمي • وأصوات أقدام رجال وهي تركض • وكانت لدى
حازم رغبة قوية في الخروج لمشاهدة الذي يجري لكن الفتاة
منعته من ذلك ••

— لماذا ؟

— لئلا تصاب بطلقة خاطئة ••

— في الواقع لدي أسئلة كثيرة أريد طرحها عليك ولا
أدري كيف أبدأ ••

— أنا أعرف ماذا تريد أن تقول •• أنت تطلب
تفسيراً للجرح الذي بيدي •• ودخولي بيتك في ساعة
متأخرة من الليل ••

— أنا لم أقصد ذلك ••

— هذا من حقي •• الجرح الذي بيدي كان نتيجة
شجار وقع مع أحد السكّاري الذي حاول اغتصابي •

— اغتصابك •• ولكن كيف ذلك ؟

— كنت عائدة من عند إحدى الصديقات عندما حاول
رجل سكير التمرض لي •• والجرح الذي ضمدته بسببه
زجاجة كانت بيد الرجل •• لن أطلب منك شيء سوى
المبيت هذه الليلة وغدا سأرحل •• هذا كل ما عندي ••

••• يالها من ليلة عجيبه • فتاة تهرب من رجل
حاول اغتصابها •• سيارات النجدة تطوف الشوارع بصفيرها
الخفيف • اطلاق نيران • أصوات أقدام رجال وهي تركض ••

٦

في صباح اليوم التالي خرج حازم الى السوق لشراء
جريدة وفطور • كانت الامور غير هادية • الجنود المسلحون
في جميع الزوايا والطرق يفتشون السيارات والعربات
المارة والأشخاص • سيارات الجيش على طول الشوارع •
عمال التنظيفات يتلفون الجدران من بقايا أوراق مطبوعة
تحت حراسة الجنود ••
حين حاول حازم الاقتراب منهم ليرى هذه الأوراق •

مقدمة :

كنت أود أن أذكر في هذه الكلمة الأسباب التي دفعني إلى التفتيش في دفاتر القدماء وتقديم عروة لكنني رأيت أن ذلك ربما يدفعني قسرا إلى تبريرات أنا ببنى عنها ٠٠ لكن ثمة دلالات عريضة أشبه بالرسالة التي يدل عليها عنوانها وهي نصرة عروة للمظلومين ، ومساعدته للفقراء ، ومشاركته للمساكين ، ورفضه لكل قيم يجتمعه القاسي . وأود - للمناسبة - أن أشير إلى أنني لم أعثر على النسخة المصرية من ديوان عروة ، وربما تكون هي أفضل النسخات ، ولكنني عثرت في ديوان له شرحه ابن السكيت واعتنى بتصحيحه الشيخ ابن أبي شنب الأستاذ بكلية الآداب بالجزائر ، فأفادني كثيرا واعتدت عليه في دراستي إلى جانب طبعة صادر للديوان لتحقيق الأستاذ كرم البستاني ، وطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي لتحقيق الأستاذ عبد المعين الملوحي .

ولعلي وقعت في تكرار بعض القصائد من حيث الاستشهاد والأشياء ولا شك أن السبب في ذلك يعود إلى قلة آثار الشاعر نسبيا ، فعذرا .

الاجواء التي عاش فيها الشاعر الآثر الجغرافي

المسرح الجغرافي الذي عاش عليه الشعراء المالكي عبارة عن منطقة صحراوية جبلية عرفت الأغوار المنخفضة ذات الحرارة الشديدة ، والجبال العالية ذات القمم الثلجية ، وبينها مناطق رملية مترامية الأطراف تتمتع الحياة في أرجائها نظرا للجذب القاتل ، وأماكن خصبة تغري الناس بالاستقرار وإقامة القرى ٠٠٠ هنا برد قارس وهنا حر حارق ٠٠ هنا أمطار تحبس حتى يضرع الناس بصلوات الاستسقام ، وهنا سيول تجرف كل ما تراه أمامها ٠٠ هنا فقر وعوز ، وهنا غلال وأبل وثروات ٠٠٠ ويبقى بين كل هذه العوامل الإنسان المخنوق في هذا التضارب الجغرافي البيئي الذي تكبله مقده الفقر والجوع ، وأمامه الثغرات

عروة بن الورد

أبراهيم صابور

عروة بن الورد

والثروات ، هذا الانسان الذي يأبى الزراعة ويحترق الصناعة ويؤمن بأن الرمي والتجارة والصيد والنهب هي وحدها الاعمال التي تليق بالرجال (١) وهذا الانسان الشجاع والمغامر العنيف كان لا بد له ليعيش أن ينتقي الاماكن الخيرة حيث الماء والزرع والماشية لتكون مفضلياً له ، وهكذا فقد كان يوجد شبه منغلط لمنطلق غزوات الصماليك منها اليمن ونجد والسرّة والحجاز ويشرب التي قال التبريزي في ديوان الحماة انها « منبت النخل » حلم عروة الذي يداعب مخيلته ويحقق اماله وامال فتانسه الذين خاطبهم :

فانكم لن تبغوا كسل ممتي (٢)

ولا اربي ٣ حتى تروا منبت الاثل (٤)

الحياة الاجتماعية :

الاسرة الكبيرة الحجم والتي سميت قبيلة هي الوحدة الاجتماعية التي عاشها المجتمع الجاهلي في البادية والحضر . في فيها يعيشون وتحت حماها يفرون وينعمون وفي المصائب سواء يتحملون ... يهون دفعة واحدة لنصرة قريب أو مستجير ويتقاسمون الذيات والغنائم سواسية كما يقسم سيدهم الذي لهم عليه أن يتحمل تبعاتهم ، وله عليهم أن يطعموه فيما يأمرهم به ، وما يأمر هو نظام القبيلة واوامر حياتها الدائمة فان اخطاه احد الافراد طرد وسمي « خليفا » واضطر أن يهاجر الى من يحميه فيعيش لديه أو أن يفر الى الصحراء حيث الفقر والوحدة ولا حيلة الا للقوي المتمتع على نفسه ، وقد يجتمع هؤلاء الغلغام فيشكلون عصابات اغارة وقطع طرق -

وما اثر في الحياة الاجتماعية الجاهلية تمايز طبقات مجتمع القبيلة الواحدة التي كانت تضم الصحراء والعبيد والموالي ، (٥) - الصحراء هم النخبة وهم جامعو الحسب والنسب والشرف من اباؤهم وامهاتهم ، وأما العبيد فمن قسمن عربي وهم أخرى من غزوات القبيلة لقبيلة أخرى،

وغير عربي من غزواتهم لبلاد المجاورة للجزيرة العربية . وكان العبيد كثيرين في القبيلة نظرا لكثرة الغزو ، وللحاجة اليهم للعمل ، ولجلال التفاخر في الاسر الكثير خاصة اذا كان من أسر من الساياء مما يحط من شرف القبيلة التي غزيت وكانت قریش تتاجر بالريق وكانهم صنف من السلع الاخرى واشراف العرب يباهون في الشراء والافتناء وحتى أنهم يورثونه بعد الموت أو يمتقونه ، واما الموالي فهم بين الطبقتين « أحط منزلة من الحر وارفح من العبيد (٦) ويتكاح السيد من عبيته أحيانا يأتي « الهجين » المحترق خاصة إن كان يكون أسود حيث يزيد التمييز الطبقي الى تمييز عنصري ، ويكثر البغض والحقد من الاطراف كلها ضد بعضها وتشكل من هؤلاء الهجناء المميزين وأولئك الخلفاء الشاذين فئة الصماليك والزوابع فئة الكافرين لكل عصبية قبلية أو عرقية ولم يكونوا قلة و « عدّ منهم بعض المؤلفين العرب في قبيلة هذيل وحدها أربعم صملوكا كلهم من العدائين » (٧) .

الحياة الاقتصادية

منذ أقدم العصور والجزيرة العربية يمر لقوافل التجار الجنوبيين جملوا من بلاد الشماليين طريقا لهم ثم ما لبث هؤلاء أن زاحموهم التجارة حتى اشتهرت كثير من المرات والبلدات للقوافل التجارية النسي وبلدت الشمال بالجنوب وكثير من الاسواق التي انتشرت على طول تلك الطرق ، وكان في تلك الاسواق كل ما يبتغيه الانسان حتى الحلي والحريز وكانت هذه الاسواق محمية ضد قطاع الطرق والصوص ... وفي الاسواق تجارة وللتجارة رايح وخاسر ومضارب ومراب ، وللقوافل التجارية أدلأوم وخفراء ومراسيل (٨) وهناك فئة رفضت حماية القوافل والعمل معها لتصلب ضدّها وهي فئة الصماليك والفقراء التي لا تملك درهما وتر أمأها القوافل محملة بالغالي والنفيس والابل بالآلاف بينما هي تقتل اولادها خفية اطلاق كما يحدثنا

١ - الشراء الصماليك في العصر الجاهلي ص ٢٤

٢ - الهمة - هي السلوك الى المحبوب

٣ - اربي - حاشى وورث اربي في تحقيق ابن أبي شبيب على الديوان

٤ - بروى منبت النخل - الآثل نوع من الطرافة ومن خشية تصيغ

التمناج وذكر الاستغاثي يريد بلاد بني الكين *

٥ - الشراء الصماليك في العصر الجاهلي ص ١٥٥

٦ - نفس المصدر ص ١٠٧

٧ - الشراء الصماليك في العصر الجاهلي ص ٨٠ نلا من منغلوط

نحولة الشراء ، للاصمعي ورقة (٢٣)

٨ - الشراء الصماليك في العصر الجاهلي ص ١٤٠

القرآن الكريم وهم لا عمل لهم لو أرادوا سوى لدى الاغنياء
بالرعي وخدمة الابل أو يعينون نساء الحي كما يقول عروة
بن الورد :

يمسح نساء الحي ، ما يستمينن

ويسمي طليحا (١) كالبيع المحسر (٢)

الحياة العقلية (الشعر)

عرفنا من بحثنا السابق طبيعة تكون الصماليك ..
فهم اذا مروا عقليا بمرحلتين أو ثلاث :

أ - مرحلة ما قبل الصمليكة

ب - مرحلة الصمليكة

ج - مرحلة ما بعد الصمليكة والعودة الى حظيرة القبيلة
عند البعض منهم *

ففي المرحلة الاولى كان يؤثر كل مؤثر في أدب العصر
الجاهلي على اثارهم الادبية شأنهم في ذلك شأن شعراء القبيلة
الجاهلية الآخرين ويظهر ذلك في شعرهم ، ومنهم من ظلت
هذه الآثار معه حتى في فترة الصمليكة ، ومنهم من رافقته
حتى عاد الى مرحلة القبيلة .. وما لا شك فيه بأن طابع
العصر الجاهلي الادبي قد طبع شعر الصماليك بطابعه اللهم
سوى ظواهر بسيطة طمسها الحياة الاجتماعية للمعولك
عن الظهور بالمظهر المادي للشعر الجاهلي كاطالة القصيدة
والتسلسل في الدخول الى الغاية المنشودة وذلك من حياتهم
الخلقة وتشردهم الدائم من أجل لقمة العيش ، ولهذا نرى
أن اشعارهم انما هي مقطوعات صغيرة أو قصائد قصيرة
تتميز بوحدة الموضوع وواقعيته وسرده بشكل قصصي *

حياة الشاعر

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

واسمه « عروة بن الورد » باتفاق جميع من كتبوا عنه .
بضم العين وتسكين الراء في عروة وأما نسبة فبعضهم كان
يجتريء فيقول : « عروة بن الورد العبسي » (١) وبعضهم
كان يزيد في نسبة فيذكر : عروة بن الورد بن زيد بن
عبدالله بن ناشب بن سفيان بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن
عبس بن بغيض (٢) أو يفصل فيذكر الاسماء كما في
شرح التبريزي على حماسة ابي تمام « عروة بن الورد بن
زيد بن عبد الله ابن ناشب بن سفيان بن هرم بن عوف ابن
غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن
سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد » (٣)
ولعل أطولهم تعريفاً بنسبه واوثقه أبو الفرج
الاسفهاني الذي يقول :

هو عروة بن الورد بن زيد ، وقيل ابن عمرو بن زيد ،
بن عبد الملك بن ناشب بن هرم (٤) بن لديم بن عوذ (٥)
بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان
بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار (٦)
وفي الحماسة « العروة للمردود والجوالق وغيرهما ،
والعروة أيضا القطعة الجيدة من الكل » (٧)
وعرفت له كنيستان الاولى ويقال له « أبو نجدة » (٨)
والثانية « أبو حرمان » وقد كناه الاستاذ الشيخ ابن أبي
شنب بالاسمين وأضاف انه من أهل نجد ومن شعراء الطبقة
الثانية (٩)
ونخلص من القول بتصنيفه اسمه وكنيته الى أنه
« عروة بن الورد العبسي » وهو أبو نجدة وأصله عربي

٥ - ذكر الاسفهاني انها وردت كذلك עוד

٦ - الاثاني ج ٣ ص ٧٢

٧ - شرح ديوان الحماسة ج ٢ ص ٢٤

٨ - المصدر نفسه ص ٣٦

٩ - شرح ديوان عروة طبعة الجزائر ص ٥

١ - الطليح : من طليح البهي اذا أميا

٢ - المحسر : يقال جمل حسي وهو صفة لتكسلان

١ - شرح ديوان عروة بن الورد العبسي (طبعة الجزائر) ص ٥

٢ - تاريخ الموطوب ج ١ ص ٢٢٢

٣ - شرح ديوان الحماسة ج ٢ ص ٣٦/٣٥

٤ - ذكر الاسفهاني انها وردت كذلك هرم

صميم ، وكان يلقب بمانع الصميم وه عروة الصماليك (١)
كما ذكر الاستغفاني بقوله :

لحي الله (٢) صعلوكًا اذا جن ليلته
مصافي (٣) المشاش ألفا كل سجزر

وقال الاصمعي هو « شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها ، وصلوك من صماليكها المدودين المقدسين الاجواد . وكان يدعى عروة الصماليك لجمعه ايامه وقيامه بامرهم اذا اخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مفرى » (٤) *

ذكر ابن قتيبة (٥) انه كان يلقب عروة الصماليك لقوله :

لحي الله صعلوكا اذا جن ليلته
مصافي المشاش ، ألفا كل مجذر

بعد الغنى من دهره كل ليلة
اسباب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح طاويا (٦)
يحت الحمى (٧) عن جنبه المتعفر
وكانوا يتادونه « أبا الصماليك » (٨) ايضا -

ولادته ونشأته

أما مكان ولادته غير معروف وان ذكر أنه من أهل نجد فهذا لا يعني أنه ولد فيها وكذلك سنة ولادته فمجهولة ، لان الذين كتبوا عنه لم ينطقوا الى هذه الناحية فكان عروة كغيره من الشعراء والادباء الذين اهلكت سنة ولادتهم وربما يعود سبب ذلك الى أن زمن الولادة لم يكن ذا أهمية

بالنسبة لمؤرخي حياة الادباء او لان المؤرخين لم يدركوا قيمتها حسب مفهوم عصرهم ، وقد رجعت الى كل مصدر استطلعت الحصول عليه فلم أجد اثرا يذكر عن تاريخه وكان ولادة عروة *

ولئن حرمنا من معرفة ساعة ولادته فلن نعرفه مشاعر اهله تجاهه ومشاعره تجاههم وذلك من قصصه وأخباره *

قال المستشرق كارل بروكلمان « وكان لابي مقام محمود في حرب داحس ومن أجل ذلك مدحه عنقرة (١) وروى صاحب الاغاني أن أياه هو الذي أوقع الحرب بين قبيلته عيس وبين فزارة بمراهنه حذيفة ما جعل القبيلة تتشائم به وان هذا الاب كان يؤثر الاخ الاكبر لعروة عليه ما يعطيه وكان يقربه (فقيل له أتؤثر الاكبر مع غناه عنك على الاصغر مع ضعفه ؟ قال : أترون هذا الاصغر لئن بقي مع ما أرى من شدة نفسه ليسيرن الاكبر عيالا عليه) (٢)

ويحدثنا عروة في شعره عن أمه فهي من نهد من قضاة وهو ساخط على تلك الصلة التي جمعت أمه وأبيه ليهجر أحواله هجاء مرا ويصنفهم بأنهم ثعالب في الحرب أسود في السلم *

ما بهي من عار أخال علمته
سوى أن أخوالي اذا نسبوا نهـد

اذا ما أردت المجد قصر مجدهم
فأهيبا على أن يقاربني المجد
فياليتهم لم يضربوا في ضربة
واني عبد فيهم وأبي عبد
ثعالب في الحرب العوان فان تبخ (٣)

٢ - ذكر ابن السكيت انها رويت بحث الجفا وشرحها اي لا يبرح الي *

٨ - الاغاني ج ٣ ص ٨١

١ - تاريخ الادب العربي لبروكلمان ج ١ ص ١٠٩

٢ - الاغاني ج ٣ ص ٨٨

٣ - تبخ الحرب ، تنظي ، شرح ابن السكيت

١ - الاغاني ج ٣ ص ٧٤

٢ - لحي الله : أي لمن وقع وهي كلمة تستعمل في السب

٣ - رواها ابن السكيت معنى في المشاش : أي معنى له مؤثر اللاكل

٤ - الاسمعيات ص ٣٥

٥ - الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٥٧

٦ - ذكر ابن السكيت انها رويت بصح قاعدة « وكذلك يصبح ناعساء

عروة بن الورد

- (٤) وتنفرج الجلى فانهم الاسد
ولكنه يفخر بأه (٥) ويرد بقوله على من يعيره بها :
أهترموني أن أمي نزيعة (٦)
وهل ينجبين في القوم غير النزاع
وما طالب الاوتار الا ابن حسرة
طويل نجاد السيف هاري الا شاجع (٧)
ومن هنا يبدأ الصراع في داخل عروة ... صراع
طبيقي وصراع نفسي ... أبوه شؤم لقبيلته وأمه - التي
يفخر بها - أدنى مرتبة في الترابط القبلي من أبيه ...
وهو كما مر معنا أدنى مرتبة من أخيه الأكبر .

تري الا يسعى عروة لتحطيم هذه المراتب المزيقة التي
عنتك وكبرت حتى غطت المجتمع ... صورة الاخ الأكبر
المدلل تجاه الاصفر المهمل تتراقص مع صورة الثرى المتعتم
الحاصل على كل ما يبتغيه الى جانب الفقير المحروم من لقمة
العيش الضرورية ونتيجة لهذا الصراع فلا بد من حل ،
وعروة يجد الحل الطبيعي وهو الثورة على مجتمعه وأبيه
وأخواله بل ويزيد الى الثورة حلولاً اقتصادية في بؤادر
الاشتراكية البدائية التي نادى هو بها ... نأخذ ممن يملك
لنمنح لمن لا يملك .

اني امرؤ عافي (١) أنائي شركة
وأنت امرؤ عافي أنائك واحد
أنهزأ مني أن سمتت وقصد تري
بجسمي (٢) مس الحق والحق جاهد

٤ - الديوان (طبعة الجزائر) ص ١٥٧

٥ - الديوان (طبعة الجزائر) ص ١٥٨

٦ - نزيعة : غريبة وقد وردت تربت في شعراء النصرانية ص ٩١٤

٧ - الاشاجع جمع أشجع وهي عروق ظاهر الكف

١ - عافي : طالب المعروف

٢ - وردت في الحماسة بوجهي شحوب الحق وروى أنها وردت بجسمي

شحوب الحق .

اقسم (٣) جسمي في جسوم كثيرة
واحسو قراح الماء والماء بارد (٤)
هذه الصورة الفريدة للمشاركة في معناها الانساني
العميق هي التي تمنى من أجلها عبد الملك بن مروان لو
يكون والده عروة بن الورد (٥) .

وكان من الطبيعي أن يكون لهذا الصوت صدى ، ولهذه
الفلسفة اتباع ، ولهذه القيادة الثورية رائدة رعايا
يجمعهم أمر واحد « هو الرغبة في تبديل الواقع الاسود
الرغبة في توزيع الثروات توزيعاً عادلاً جديداً ، الرغبة
أن يكون الفقير ثائراً كيلا يكون متسولاً (٦)

نتقله :

من التقسيم الجغرافي للجزيرة العربية وأثر البيئة
الذي بحثناه سابقاً نرى أن حياة عروة الصعلوكية تركزت
في شمال الجزيرة العربية حول منطقة يثرب ، وأحياناً كانت
تمتد الى منطقة نجد وأما سكناه فمع بني عيس الذين
« كانت منازلهم فيما بين ابانين والنقرة وما وان
والريذة » (١) أي في شرق المدينة المنورة وجنوب جبال
طحي (٢) .

قلت لقوم في الكنيف تروحوا
عشبة قلنا عندما وان رزح

ومن شعر عروة نستطيع ان نتوصل الى الاماكن التي كان
يقود جماعته اليها للغزو أو للترصد من أجل السطو على
الغنائم أينما وجدت في طول البلاد وعرضها .

٣ - ذكر الاسفهانى أنها وردت افرق

٤ - الديوان طبعة الجزائر ص ١٣٨

٥ - الاغانى ج ٣ ص ٧٤

٦ - الديوان عروة ابن الورد طبعة دمشق التمهيد ص د

١ - شرح ديوان عروة طبعة الجزائر ص ٩٨

٢ - شرح ديوان عروة طبعة الجزائر ص ٥

أو :

فان نحن لم نملك دفعا بحادث
 ظلم به الأيام ، فالمرت أجمـل
 أو كقوله في وصف حياته وحياة كل صعلوك :
 فان بعدوا لا يأتون اقترابـه
 تشوف أهل الغائب المنتظر
 فذلك أن يلقى المنية يلقـها

حميدا وان يستغن يوما فأجدر
 ولم يذكر ابن السكيت ولا الاسفهاني تاريخا لوفاة
 عروة ولم يتحدثا عن طريقة وفاته ولقد أشار الاب لويس
 شيخو اليسوعي (١) أن « وفاة عروة بن الورد كانت قبل
 الهجرة بقليل نحو سنة ٦١٦ ميلادية » وجاء في تحقيق وشرح
 ديوان عروة للاستاذ كرم البستاني أنه « يقال أن عروة
 مات مقتولا قتلته رجل من بني طهية في سنة ٦١٦ ميلادية
 (٣) أما الشيخ ابن أبي شنب فيحدد لوفاته سنة ٥٩٦
 ميلادية أي « قبل الاسلام بست وعشرين سنة » (٣) »

شخصيته :

إذا عدنا الى مجموعة قصائد عروة والى أخباره التي
 أوردها صاحب الاغانى نستشف من خلالها شخصيته ، نرى
 بوضوح وبلا غناء انه المثل الشرعي والقائد اللامع لطائفة
 الصعاليك متمثلا الثورة على المجتمع ، والعزة والاباء ورفض
 الضيم والذل ، مطالبا بالحرية في تحديد علاقة الصعاليك
 بمجتمعهم ما دام هذا المجتمع يريد أن يفرض عليهم
 عبوديته ، شجاعا مقدما على الموت الذي هو أعذب من
 الشهد وأحل ، كريم النفس واليد في مساعدة المرضى
 والشيوخ .

روى الاسفهاني « ويقال أن عبد الملك قال « من زعم
 أن حاتمنا أسبح الناس ، فقد ظلم عروة بن الورد (١٤)
 وذلك لانه هو القاتل مخاطبا حليته »

لعل انطلاقي في البلاد ورحلتي
 وشدى حيازيم (٣) المطية بالرحل
 سيدفعني يوما الى رب هجمة
 يدافع عنها بالمعوق وبالبخل
 فلقد جاب وادي الحجاز وأغار على أهل نجد وأهل
 الجبل :

فيوما على نجد وغارات أهلها
 ويوما بأرض ذات شت وعمر (٤)
 يناقطن بالشمط الكرام أولي القوى
 نقاب الحجاز في السريح الميسر
 ويذكر أوس ببطلاته حيث تستلقي وعول الجبال في
 ذي الشلال :

فلا أنزل أوسا فاني حسبها
 بمبیطح الادغال (٥) من ذي الشلال (٦)
 ومن كعروة يطوف البلاد لا يمنع مانع حتى ولو كانت
 حليلته فهو يستأذنها دائما طلبا للفنى :
 ذريني أطوف في البلاد لمنسى
 أخليك أو أغنيك عن سوء محضري
 فان فاز سهم للمنية لم أكـن
 جزوعا وهب عن ذلك من متأخر

أو :

دعيني أطوف في البلاد لمنسى
 أفيد غنى فيه لذي الحمق محمل

وفاته :

ولم يكن عروة ممن يتهيب الموت أبدا .. وهل من
 ثائر يخشى المنية ؟ الموت مطلب أن لم يصل الثائر الى مبتغاه
 وكذلك بالنسبة لعروة فهو إما أن يحقق نجاح غزوته
 وإما أن يموت وهذا ما ينتظر ، أو يخفق – ولا بأس –
 ما دام يحاول ويعمل .
 فسر في بلاد الله والتمس الفنى

تمش ذا يسار أو تموت فتمتذرا

٣ - الحيازيم : جمع حيزوم وهو ما اكتشف الملقوم من جانب المصد

٤ - شت وعمر : نباتان في الصحراء

٥ - الادغال : يقول الاسفهاني انها وردت الاغال

٦ - ذي الشلال : حيث تستلقي وعول الجبال

١ - شمراء النصرانية ج ٦ ص ٩١٦

٢ - تحقيق وشرح ديوان عروة بن الورد طبعة بيروت

٣ - شرح ديوان عروة بن الورد طبعة الجزائر ج ٦

٤ - الاغانى ج ٣ ص ٧٤

عروة بن الورد

إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله فأبوا ذلك عليه ، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه ، فهو يدرك بأنه أن لم يقسم حقا لابتعد عنه اتباعه ، وإنه كان أثنائهم لملوه وكروهوه فهو يؤثر أن يحرم نفسه في سبيل انتشار مبادئه ويهيئ قانده قدوة يضحي من أجلهم لانه المسؤول عنهم ٠٠٠ ريان السفينة التي يجب أن تقاد الى مرافئ الغنى والابلا والمال بالصبر والنظر الثاقب وإن احتج الاصحاب أصر على أن هذه آثار من يرد الماء فآكمنوا فاحر أن يكون قد جامكم رزق» (١)

وجاءهم الرزق بعد أن روى عروة حارس الابلا الوارد الى الماء ٠٠٠ وسيأتيهم الرزق حتما طالما أن على رأسهم قائد شجاع مقدم ينشد :

إذا قيل : يابن الورد أقدم الى الوغى
أجبت فلا قاني كي (٢) مقارع
يكفي من الماثور (٣) كالملح لونه
حديث باخلاص الذكورة قاطع
فاتركه بالقاع رهنا ببلدة

تعاوده فيها الضياع الخوامع (٤)
ومن أجل كل هذا أحبه معاوية إذ روى الاسفهانسي
• بلغني أن معاوية (٥) قال : لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج اليهم » (٦) •
ولكي تكتمل الصورة فلا بد من ذكر المثالب ، وشرب الخمر من أكبر معاييب عروة ، علما بأنه كان شبه ظاهرة عامة في البيئة الجاهلية ، وهذا طبعا لا يبرر له أن يستهوب امرأة من كنانة لبني النضير الذين أعجبوا بها فسقوه الخمر ووهبها لهم ، ولما أصبح وصحا ندم ، وقال : سقوني الخمر ثم تكفوني (٧)

وليس أدل على شخصية عروة من رأى من عاشت معه عمرا وانجبت له أبناء ذلك كلام أم وهب زوجته بعد أن خيرت فاختارت أهلها بعد أن احتالت الذناب اليهم وأقبلت عليه تودعه • يا عروة أما اني أقول فيك وإن فارتقتك الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك وأغض طرفا وأقل فحشا وأجود يدا وأحمى لحقيقة » (٨)

للبحث صلة

إذا قلت : قد جام الغنى حال دونه
أبو صبية يشكو المفاقد اعجف

وهو رافع شمار
فراشي فراش الضيف والبيت بيته
ولم يلغني عنه غزال مقنسج
أحدثه أن الحديث من القرى
وتعلم نفسي أنه سوف يهجع
فهر القائد ذو العقل الحصيف والتفكير المنطقي السليم
الذي سبق به عصره في رده على من كان يقول بأن • من دخل خيبر فحبا ونهق عشر مرات لم تضره الحمى • وعروة لم تندعه الخرافة ، وقد سماها ولوعا من دين اليهود » (٣)
وقالوا :

أحب وأنهق لا تضيرك خيبر
وذلك من دين اليهود ولوع
لمعري لئن عثرت من خشية الردي
نهاق الحمير انني لجزوع
فلا والى تلك النفوس ولا أنت
على روضة الاجداد وهي جميع
وهو النبيل الذي يريد في المرأة شريكا له على الحياة
لا يلمس الا من كانت زوجة له ويفض بصره أن السوت
الرياح يبيت جاريته حتى يستتر •
وان جاريته ألوت رياح يبيتها

تغافلت حتى يستر البيت جانبيه
وهو الاب الذي يتحمل الكثير من أجل اتباعه الذين
إذا جاعوا أتوه • فجلسوا أمام بيته فلما أبعروا بسه
صرخوا وقالوا : يا أبا الصماليك أهتنا ، فرق لهم وخرج
ليفرز بهم ويمسح ماضا • (٤) ، لا ليأكل الكثير ويمسحهم
القليل • لا ليأخذ ما يريد ويمتنع ما يريد ، بل ليقاسم
وايامهم بالحق • • يروى من أخباره أنه غنم أهلا وامرأة
وأراد أن يبقى لديه المرأة وحصة كحمتهم • فقالوا : لا
واللات والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شام
أخذها ، فجعل يهم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الابلا
منهم ، ثم يذكر أنهم نسيتهم وإنه ان فعل ذلك أقصد ما
كان يصنع فافكر طويلا ثم أجابه الى أن يرد عليهم الابلا

٤ - خدمت الضيف : ضلعت أي مئت كان بها مرجأ

٥ - ذكر الاسفهانسي انها وردت ابن معاوية

٦ - الاغانى ج ٢ ع ٢٢

٧ - الاغانى ج ٢ ع ٢٥

٨ - الاغانى ج ٢ ع ٢٦

٣ - الاغانى ج ٣ ص ٨١ - ٨٢

٥ - الاغانى ج ٣ ص ٧٩ - ٨٠

١ - ديوان عروة طبعة الجزائر ص ١٠٣

٢ - الكنى : لباس السلاح أو الضجاج

٣ - الماثور : السيف في منته اثر واخلاص

شركة الصناعات الحديثة
ميكفلاس

نتيج:
فيوط صوفية صافية ومنزوعة
أنسة صوفية ومنزوعة
مع البولستر

ميكفلاس

دمشق - ص ٢٧٠
هـ ٢٢٥٨٢٥ - برقياً : الحديثة

صالة البيع:

دمشق - مرفقة - هـ ٢٢٥٤٤٤



استيقظ صباحاً ، كالعادة ، وأخذ يستعد للذهاب الى العمل . فجأة توقف فيه كل شيء ، أو بالأحرى تحرك فيه بسرعة هائلة ، حتى بدا واقفاً كالجماد . لقد بلغت الازمة حدّها الاعظم : انه الفيضان الكبير الذي تخافه الزروع . ظن بنفسه الظنون . ما العمل ؟ هذا الحشد الهائل من الاحياء والاشياء يستغرق حسه كله ، ويبتلع ذكرياته ! ما العمل ؟ عليه أن يستخلص من هذه الجمهرة العارسة بعض حسه ، وبعض ذاكرته ، والا فكيف يعيش !! ولكن هل يستطيع ذلك ؟ ان السرعة الهائلة ، سرعة العصر ، التي يعيشها ، سحقت كل شيء فيه ، وجعلت منه مخلوقاً بلا معالم ، شيئاً يتحرك ولا ارادة له في التحرك . كل ما فيه يركض ، سريعاً ... سريعاً ، ويتزايد مسجلاً أرقاماً لا تحصى ، ويتضخم ، حتى يكاد يفقد وجهه الحقيقي البسيط .

انه متأكد من أنه . والدليل انه يرى جسمه يتلوى كالافعى فوق الفراش . أما ان له أن يحس الالم ، فيعود ذاته وانسانه المروق ، انسانه المباع لارباب الحضارة والانتاج ؟ لماذا لا يحس أنه ؟ ان جسمه يتصب عرقاً ، ولا بد أنه محموم .

أمسك بميزان الحرارة ، ونظر اليه ملياً :
- هيا .. قس حرارتي ، انت اذن من احساسى
« انا » بجسمي ! أنت حس الجمهرة ، حس الكثرة .
« ٤٠ » درجة .

أعاد ميزان الحرارة الى فمه ثانية .
« ٤٥ » !

- غير معقول !

« ٥٠ » !

وأعاده الى فمه .

- آه .. غير معقول !!

« ٧٠ » ! « ٨٠ » ! « ١٠٠ » !!

- انتي في درجة الغليان (رفع صوته عالياً) اني أقور .. لحمي ينسلق .. النجدة !

رفع كفه الى جبينه يتلمسه . انه لا يحس شيئاً . وتنبى أن يستعيد حسه . انه يمي ما معنى كلمة « احس » ، ولكنه لم يعد يستطيع في هذا الزحام الخانق ، أف يعيش احساساته ولا أن يتذكرها فيفتح لها فيروحه متقدماً تدخل منه .

سأل نفسه :

- ألمت غريباً عن هذه البلاد ؟ ألم أت من بلاد أخرى ؟ أين « انا » القديم ؟ كيف يحس الناس في بلادى ؟ ان هذه الكلمة لم تمد بالنسبة اليه أكثر من مفهوم يدرك معناه فحسب ، أما أن يحياها ، أما أن تحيا فيه ، فهذا شيء ليس في مستطاعه . نظر حوله ، فرأى الاشياء

ولادة

قصة بقلم : منذر العياشي

تسبح في وحدة تامة ، ولا سبيل لها أن تخرج عن صمتها •
 - أية قيمة للصمت ؟ هذا كرسي •• هذه طاولة ••
 آه ما أشد تعاسي ! هذا كرسي •• هذه طاولة ••
 الصمت لا يعطي للاشياء حرارة معانيها • لقد
 حاول جهده أن يحس ماحوله ، وأن يجعل الاشياء تعيش
 في حبه ، ولكن دون جدوى • الا أنه أدرك أن في عزلة
 الاشياء صورة لعزلة الانسان ، وان احتشدت هذه الاشياء
 وكثرت كما هي عليه في الحضارة •

- العنسي •• لقد دمرت العنسي ذاكرتي وبلدت حسي
 سأنتظر حتى تزول عني • سأنتظر فهي لا بد زائلة •

فكر ، بالذاكرة المدمرة وبالحس المبلد ، تفكيراً
 اضطره الى تحمل عذاب عظيم • عذاب يدركه غير صور
 خيالية يؤلفها يشق النفس دون أن تستغرق فيها مشاعره
 فيحس بها الما •

نظر الى ميزان الحرارة في اشفاق • أحس بالخوف •
 انه يحس الخوف احساساً مادياً - الخوف يسري في جسمه
 انه خائف • ويأت على قمه استماسة بلهام •
 - ساموت •

تعاظم خوفه ، فصره ذلك :
 - ساموت هنا في هذه الغرفة ، ولن يراني أحد -
 فقد سجد بدنه لهذا القول ، وأحس بالوت ، احساس
 مختنق في ظل من يحوم ففتمت القبلة قلبه •
 - سيأكلني الدود •

ملأت السموع عينيه ، على حين هز الفرج أوصله •
 - وتفوح من جسمي رائحة مفعنة كريهة •
 اضطرر اضطراراً شديداً ، فلم يتمالك من أن يأخذ
 الهاتف :

- ألو ! دكتور ؟ اسمعني من فضلك • درجة حرارتي
 بلغت المائة !
 - ماذا ؟!
 - نعم • اني أفور !
 - أنت مجنون !

قطع الكلام • رمى سماعة الهاتف في موضعها •
 - ماذا قال الطبيب ؟ آآ •• اني أذكر •• لقد عادت
 الي ذاكرتي • قال : أنت مجنون ! اني مجنون • آه ، ألا
 أستطيع أن أضيف كلمة أخرى الي هذه الكلمة ؟ لنقل :
 مجنون حر ! قليل الطبيب ما يشام • على الاقل لست الآن
 فوق الطريق التي تقود آلاف الالوف من البشر نحو آلات
 صمام •

ترك المجنون الحر نفسه على بدايتها ، منطلقاً في

ضحك هستيري • ثم انتصب في وسط الغرفة ، وراح
 يتحرك بصفت : حرك يديه ، رجله ، رأسه ، عينيه ، كل
 شيء فيه • انه هو الذي يحرك •• وكل شيء فيه يتحرك
 حتى أدق مسامة في جسمه • وفجأة أحس بارهاق يحتاجه ،
 فاسترخى فوق سريريه خائر القوى •

كان ضوء الشمس ينفذ عبر شق في ردام النافذة
 فيثير مساحة فوق الجدار لا تتجاوز حجم كف اليد • وفي
 هذه المساحة الضيقة المغمورة بالنور ، وقفت حشرة سوداء
 وكأنها تستلهم النهار لتباين وجودها من جو الغرفة المغمم •
 نظر الى هذه الحشرة متأملاً عجباً ، وفي رأسه تدور
 شتى الفكر • وظل ينظر اليها حتى أحس أن شيئاً يتسرب
 اليه ، ويدخل الى أعماقه • انه شعور الحشرة بالوحدة •
 شعور يرفض العزلة في الصمت ، والعيش بلا ضوء •

أجال عينيه في أطراف الغرفة الراقدة ، بحثاً عن حشرة
 أخرى فلم يجد • هم بفتح النافذة ليترك السبيل لدخول
 حشرات أخرى تبدد وحدته ، الا أن قواء الغائرة حالت دون
 ذلك • وما أن أعاد النظر الى الحشرة حتى ففر فصره
 من الدهشة ، واخذته الدهول فلبث جامداً لا حراك فيه •
 رآها تنقلص وتتصدد دون أن تغادر المساحة المضاءة •
 ثم رآها تضطرب وتختلج فتعثر كلها اهتزازاً تعود بعده
 الى تقلمصها وتمدها ، وكأنما تستمر شيئاً في داخلها ••
 شيئاً تريد اخراجه •

اشتدت حساسيته الى درجة أدرك فيها الاتحاد مع
 الحشرة • وهاوذا يحاكيها في حركتها ، وها هو جسمه
 يتألم • عيناه لا تفارقانها • وبوعي منه بدأ يشن ويتواء ••
 أغشى عليه بعدها لعدة ثوان •

انه المخاض • لقد قطع جبل الصمت • وصرخ بصفت صرخة
 « ما خلقكم وما بعثكم الا كنفس واحدة » •
 من مؤخرة الحشرة ، خرجت حشرة أخرى ، تلعب تحت
 ضوء الشمس في المساحة الصغيرة ، مغطاة بمادة مخاطية
 مطاطة •• بمادة دقيقة تحول بينها وبين السقوط الى الارض
 تتم بصوت متعذب فيه كثير من الحنان :

- لقد ولدت •• لقد ولدت « أنا » •• ولدت نفسي •
 انني أنا • سأبذل على الحضارة •• سأبذل على الشكائر
 الكاذبة •• لن أبذل جهداً كي يسرق •• المستقبل لي ••
 تحيا الثورة ••

أغمض عينيه ، وشعور بالحربة يحمل روحه نحو افق
 جميلة •

اكس آن بروفانس - فرنسا

منذر العياشي



تأليف : ابراهيم العبيسي
نقد : أمينة العلواني

تلتجئ الى الشخصية بعد الرحيل عن الوطن « لا وطن لا مكان » كما تجد الشخصيات انها غير متكيئة او متلائمة مع الواقع - سواء اكان هو هذا الواقع هو الواقع الذي يتجسد في المدينة التي يسيطر عليها الجهل والخوف والفقر والكراهية والخلافت والطائفية الهاربة الزائفة « مدن متفرقة متناثرة تفرق في عتمة سوداء وتتفلسف الخوف والجوع » قضية حب « المدينة أمامي تنام نوما عميقا » « المطر الرمادي » « المدينة غارقة في الظلمة » « مشهد ليلى فوق خشية مسرح صيني - أم كان في الآخرين حيث العلاقات المبتورة مع الآخرين لتفاحة وخواء الحياة التي يحياها الآخرون » الناس لا مبالين لاهين يقتلون الوقت بالثرثرة والتسليّة - أم في علاقات القمع « لفة الآخرين هي لفة الامر والتهديد والعنف » كانت المدن اللاحية تنكزني ويصق في وجهي شرطيها - تلاحق بحقيقة تلاحقها وتمتعتها - حقيقة تحول وتغير الشخصية ، لتحول الشخصية من مواطن الى لاجيء - « تفقد الشخصية بفقد الوطن حريتها حيث كل شيء مسموح به ومستباح - الوطن سجن وغاية محاط بلمسوس وقطاع طرق وحوش يحاصرون ويفتكون به - الانسان مستباح لا يملك أي حق أو واجب تفقد الشخصيات ملامحها الفارقة المميزة - حين يتضاعف شعور الشخصيات بالذنب لرحيلها عن الوطن وتسكعها وتشردها في المدن وعدم تكيفها مع الواقع بحيث تتحول الشخصية الى مسخ - الى حيوان جيبس يطلق اصوات غير مفهومة في « قضية حب » والى الهذيان في قصة الطريق والى العزلة والتقوقع وتعذيب وتحقير الذات والشعور بالروتين في قعته « الصيف البارد » و « بقعة ضوء » .

تغير الشخصيات حين - لا تملك الا أن ترضخ لواقع خاطيء ولا عادل تجسد مأساة ومماناة الشخصيات المدن قبور مظلمة المدن صحراء تؤكد أن الواقع أكذوبة - المدن ضياع وتشرذم - أرسفت ومقامي - الوطن غرف واسعة مضيئة وماوى وببيت وشجرة « الوطن أصبح في ذاكرة الشخصية في الماضي ولم يعد يعيش فيه في الحاضر » - المناخ - المطر والريح التي تهرب منهم الشخصية وكان معادلا لدمارها - الطقس بارد ، جفاف ، حر خائق « الاشياء والحيوان بديل عن المدو » تزدهم القصص بالوحوش والغيلان والغرباء والشياطين الاسطورية التي تعاصر وتفتك بالشخصية .

ينقد وينكل الشخصية التي تحس انها ملعونة ينقذها من اللعنة والموت والتشويه وعقد تعذيب وتحقير الذات اصوات الشخصيات التي هي حلول التي تقدمها لتجاوز الدمار الذي يلحق بها « اصوات الرجل المسن ، الشيخ « الشيخ » التراث التاريخي ، جذور الشخصية التاريخية

الشخصيات في مجموعة المطر الرمادي تأليف ابراهيم العبيسي ، تمنحني الوقت راكضة ، هاربة مطاردة بصورة الوطن - الوطن الذي فقد والذي هو ماوى وانسان وذاكره والذي تحول الى سوط وعصا تجلد ، وشبح يطارد - وايد تلوح وقبضات تهدد وتشتاق تصنع « تركش الشخصية هاربة من اللعنة التي تلاحقها لرحيلها عن الوطن حيث الخطيئة هي الرحيل ، وحيث السقوط هو التشرذم والتسكع في المدن ، تركش الشخصية هاربة من الوطن الذي يلاحقها بينما اقدامها تنعثر على الارصفة في المدن الاخرى ، تجد الشخصيات الواعية أن لا مكان ولا جذور لها في المدينة - المدن بديل زائف عن الوطن « المدينة هي المقاهي والارصفة ولعب القعدة وتكرار الاخبار المملة في الجريدة - المدينة أرسفت وحوانيت ومقاهي وليست بيتا ولا ماوى » تغلو القصص من بيت

في الوطن « أصوات تدعو الشخصية لان تتجاوز الواقع بأن تتخذ موقفا وتتحمل المسؤولية - مسؤولية تتركس انتماءها الى الوطن أو ضرورة الكفاح للعودة الى الوطن » حين تكبر يا صاح عليك أن تخرج للميد - يا الهي ماذا انتظر - لقد أصبحت رجلا « المطر الرمادي » كما يعبر في الطريق، ان طريق الضحية والنضال هو الطريق الصحيح الذي يجب أن تسير فيه الشخصية حيث هو طريق العودة الى الوطن وأن كل السبل الأخرى ليست سوى أكذوبة وشراب وما فائدة الرحيل اذا كنت لا تعرف ماذا تعمل لبقعة ضوء « عد الى الطريق » كما يقدم المواقف التي كان يجب أن يتخذها الناس أمام الخطر الذي يحقد بالمدينة وبين المواقف التي اتخذتها والتي ائت الى غرق المدينة بالطوفان « الجري في الزمن المطر » يصور المواقف الغريبة الباهلة أمام الطرفان الذي يهدد باغراق المدينة خطر الاستيطان الصهيوني - مجموعات الناس التي تتخذ مواقف لاهية عن خطر العدو - فتفعل الهرب - وتعلن العجز عن اتخاذ أي موقف أو قرار - فئة تكتفي بالمشاهدة - ماذا باستطاعتنا أن نفعل ؟ - فئة تتخذ موقفا أنانيا « الانانية والتمسك بالعالية » فلحترق الوطن - فئة لاهية لا مبالية - البحث عن بديل في مكان آخر - باستطاعتنا أن نقيم بيوتا ومقاهي وشوارع أحدث منها ؟ - وأصحاب المواقف ترفض أن تستمع الى حكايات الرجل الممر ، الرجل الممر هو التاريخ العربي الاسلامي وحكايات تؤكد أن هذه الامة مرت بغزاة وتكبات واستطاعت أن تناضل وتكافح وأن تطردهم - كما يؤكد على التراث المليء بالعبر - والتاريخ العربي مليء بالتضحيات البطولات والعبر التي يجب أن يقتدى بها في كيف تواجه وتقتلع العدو أو الخطر ، ترفض المدينة حكايا الرجل الممر وتسدلها بحكايا مصلية - حكايا فيها مفاسد كما ترفض النبوة - سترحل المدينة اذا لم تحتضن حكاياتي ، ترحل المدينة - يغرقها الطوفان - تصبح في قبضة العدو كما يصور في قصته ومقاومة السكان للاستيطان الصهيوني مقاومة تؤدي الى تذبذب وتشريد وإبعاد السكان عن وطنهم قدم المؤلف في هذه القصص تاريخ القضية الفلسطينية من خلال حياة أفراد الهجرة ، ترك الوطن نتيجة الارهاب والرهبة - فقد الوطن والاهل نتيجة أن الوطن كان أداة في يد الدول الكبرى تتلاعب بمصيره كما تريد المسرحية التي أعدها الدول الكبرى وأخرجت بنجاح بين دهشة واستنكار التفرجين « المواطنين » وأدت الى مقتل الام « الوطن » مشهد ليلى فوق خشبة مسرح صيني التجأ السكان الى مدن أخرى - تحويلهم الى لاجئين - أضمرنا لك المون وعلاجات ومعلبات وأغذية وبطاطين وبطاطة مؤن -

يلقون على صدورهم شارة الاسم المتحدة - الامل هنسا في الجيل الذي نجا من هذا المصير من هذا الموت « الطفلين الذين هربا من الباب في مشهد ليلى فوق خشبة مسرح صيني »

استخدم الصور المتتالية المتقطعة « المونتاج » في قضية حب - مزج اللوحات مع المشاهد المسرحية في مشهد ليلى فوق خشبة المسرح حين سرد المونولوج والعودة الى الماضي في قصته الطريق كثرت الاعترافات والتضحيات الخارجية في هذه القصة ، ما أضعف الشخصية بدلا من الإحصاء ، التكييف عن طريق الحدث والشخصية - كما أن التعبير والكلام المباشر في قضية حب ، أكلت فئات الام تتناهى مع الرموز والمجاز التي استخدم لكي يصور الواقع في قضية حب وان كان الهدف هو إعطاء خصوصية للقضية الانسانية المواجهة وهي خصوصية القضية الفلسطينية ، استخدم المونولوج في المطر الرمادي ، والرصف البارد الجري في الزمن المطر - استخدام الشكل التقليدي ، حكاية لها بداية ووسط ونهاية في قصته فبعد ، كان يمكن تسخير الحوار في هذه القصة بحجج وأدلة تاريخية تؤكد شرعية وجود السكان في وطنهم وشرعية مقاومتهم للحلل استعصر المؤلف البيئة والشخصية المحلية - وبرع في تصوير ردود فعل الشخصيات المعنوية البدائية كما برع في تصوير لغتها العامية المحلية وفي تصوير حركاتها وعياناتها وملامحها وقد برع في تكييف حركاتها وردد فعلها أمام المصائب التي حلت بها في جبل قميرة جدا ، الحركة الهيستيرية في الطريق حين فقد الوطن الذي هو الأم والمرأة الجميلة حلمه والارض الخضراء في قصة حب ، الهذيان - التشويق الذي لحق بالشخصية في قضية حب - كما برع في تصوير الحركة ، كما برع في تصوير الافعال المكررة الترادفة الريبية للشخصية المطاردة التي تستمر وتتكبر بدون أن تعدد موقفا من الواقع - كما برع في تصوير الصراع الذي تجدد الشخصية ، أما أن تتخذ موقف أو تصلب أو تحرق أو تتوفي ، استخدم الصور المجازية والجميل الخيرية القصيرة لتصوير البيئة والشخصية والعرب ولتصوير الواقع ، تحمل صور لهجة قاسية ، صورة حادة واضحة ، مباشرة ، تحمل صورة انسان يرفض أن يصبح مسحورا من شرور واقعة ويرفض أن يتحول الى انسان من حجر -

الخلاصة :

قدم المؤلف في هذه المجموعة الجواب عن السؤال التالي: لماذا أصبح الانسان الفلسطيني مطالبا بالنضال لاسترداد الوطن -

مَعَ الْآدَابِ الْعَالَمِيَّةِ

أَوَّلُ أَسْبَابِ الرِّفْقِ الْوُضْئِيِّ

رَبِيعُ تَشُونْتَشُو

الاحتفال أحيانا بمأدبة على طريقة الانتصار ، وفي جميع الاحوال فانه لم يصفد قط أن كنا جياعا في ذلك اليوم .
وكم من أول آيار مضى وانتقل في ذاكرتي الى حيز النسيان ، ولكن يوم الاول من آيار تلك السنة سوف يبقى منقوشا في ذاكرتي الى الابد ، ذلك لان الاول من آيار هذا قد سجل تفوقا شاقا على الاعداء صعبا ، وقد كان الملح مقننا والماء والحبوب غير متوفر لدينا .

أخرج الرفيق دجي بون صون من جميعته نصف (كون) من الذرة (الكون تساوي ثلاثماية غراما في النظام الميترى) وكان يحتفظ بها كوجبة أخيرة للطوارئ لا يأكلها الا عند الضرورة الملحة وسلقها على البخار ضمن قطعة يابانية لكي تنتفش ، الا أن انتفاخها بلغ حدا وتوقف بالرغم مما أغدق عليها من الماء وأجزل عليها من البخار ، وحصل في النتيجة على ما ملا بالكاد كوبا واحدا من الذرة المسلوقة ، وطلب الرفيق دجي يونغ صون من الرفيق كيم ايل صونغ أن يكون البادئ بالاكل .

وتوازع الانتصار قليلا من الذرة فيما بينهم ، ولكن الرفيق كيم ايل صونغ أبا وأصر على رفض الاكل بقوله :
وزعوه على المرضى من الرفاق ، فانا بخير .

وكان بين المرضى الرفيق كيم هونغ صو الملقب بـ (المتزوج وهو لا يزال طفلا) وكان رفاقه يجاكرونه لانه قد تزوج وهو لا يزال في سن الرابعة عشرة في جبل يعبد في مقاطعة تشانغ باي ، وكان هناك خمسة آخرون من الانتصار الشبان مرضى - وكان تأثرهم عميقا لمساوهم من عناية الرفيق القائد بهم - ورفضوا بشدة عرض الرفيق كيم ايل صونغ وأصروا على أن يأكل هو تلك الذرة .
غير أنهم كانوا بوضع لا يسمح لهم بعدم اطاعة أمر الرفيق كيم ايل صونغ ، وأكمل الرفيق كيم هونغ صو والمرضى الخمسة الآخرون معا كوب الذرة المسلوقة وعادوا الى أسرهم .

و للمهم كانوا قد أمضوا آياما على الطوى وأنهكهم الجوع بالإضافة الى المرض ، فافادت فيهم الذرة فورا ولكن كان هنالك شيء آخر أكثر أهمية مما أكلوه من الذرة ذلك الذي لمسوه من عطف أبوي حار من الرفيق القائد كيم ايل صونغ ، وهو الذي شجعهم وبالتالي ساعد في شفائهم .
وكانت طائرات استطلاع الامبريالية اليابانية تحوم حول المكان كل يوم تقريبا في محاولة لتحديد مواقع قوات الانتصار ، وكانت القوات البرية قد ركزت حولنا وأحاطتنا بشريط تلو الشريط ، وقد لاقينا بسبب ذلك الحصار صعوبات كثيرة .

كان الاحتفال بيوم الاول من آيار ١٩٤٠ يجسري بصحة الرفيق كيم وايل صونغ على مقربة من تشي تشانغ تزو في مقاطعة انغو في الشمال الشرقي من الصين على الحدود الكورية .

ولقد احتفلنا بيوم الاول من آيار - يوم عيد الطبقة العاملة في العالم أجمع - خلال كناحننا المسلح الذي استمر أكثر من عشر سنوات بدون رحمة ولا هوادة ، وقد تم

العلوة وسبك الخريف من نهر داي دونغ ، والارز المثلج ، وما أيدع ال مارابونج والمانهي يونغداي - اننا لنحفظ لهذا كله بذكرى متأججة جدا . لقد جردنا الاسبيراليون اليابانيون من هذه الموارد جميعا كما حرمونا من جميع تلك الاماكن الديمة ذات الجمال الغلاب . ولكننا بفضل كفاحن الطرلي سوف نحل محل طبق الضفادع الذي اكلناه اليوم طبق سمك داي دونغ في المستقبل القريب العاجل وهذا واقع لا يمكن التشكك فيه .

اننا نماني الان من الجوع ، والعدو يحاصرنا وينكد علينا كل يوم ويرهقنا بهجمات التكررة باستمرار ، ولكن هؤلام الاشقياء الفجار الفساق لن يستطيعوا منعنا من العبور . اننا لا نتردد أبدا . ان طريقا عريضا يفتح امامنا ونحن نتقدم عليه بقوة وعزيمة ، ولسنا وحدنا ، فالطبقة العاملة في ارجاء العالم كله تدعمنا في مسيرتنا وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي العظيم وخاصة الشعب الكوري نفسه ونحن نضم عزيمتنا الى عزائمهم .

ان عددا محدودا جدا من الفادرين من جماعتنا قد استسلموا للعدو وانتقوا معه ، فأصبحوا بذلك مرتدين جاحدين كفره . فندما عجزوا عن التغلب فورا على مشاكلهم هددوا فعاليات ثورية لا تقدر بشئ وكانوا قد اندفعوا فيها وبأشروها طوال أكثر من عشر سنوات . ان تلك العناصر المملوءة جبنا وخسة جماعة بائسة . فكهم يمكن أن يمتد عمر الانسان ؟ ما يقارب الستين سنة على الاكثر ، اليس كذلك ؟ ولكن مثل هؤلام الجبناء غير قادرين على أن يعيشوا هذه الحياة القصيرة بنظافة فيخونون شعبهم بأذلال خسائهم مقابل مكاسب فورية ، انهم أناس يرثي لهم ويستحقون الشفقة . لقد كان لشعبنا منذ أقدم العصور - ببساطته العظيمة - شرف العيش وهو منسجم مع ضميره حتى عندما لا يكون هنالك مجال للعيش سوى يوم واحد ، وبعبارة أخرى فان ضميرنا انعكاس لضميرنا الوطني المطالب بتحرير وطننا . وهو يحرض فينا روح نضال لا تقهر في سبيل تحرير الطبقة العمالية اجتماعيا ، انه يعمل لثباتنا وقرتنا المنوية اللذين لا تتراجعان أمام أي شيء ، ويعطينا صمودنا الذي يمكننا من التغلب على الصعاب جميعا ويعطينا بطولتنا كما يعطينا كذلك الكثير من الفضائل الأخرى . ونحن نسعى ذلك - الضمير الثوري - فعليا أن نحمل هذا الضمير ، الضمير الخاص بالكوريين الحقيقيين وعلمنا أن ندافع بدمنا عن بلاد أسلافنا المحبلة -

لقد كان أسلافنا في الازمنة الغابرة يتحدون ويهبون

وقد يبدو في نظر الناس عموما ان متابعة المهام طوال أيام عديدة في مثل هذه الظروف الصعبة دون تناول أي طعام وانعدام المؤونة من أي نوع واستحالة الاعداد أمر لا يمكن تصوره وإدراكه . غير أن البعض من الشباب الرفاق كانوا يقولون : « كم كنا نود أن يتوفر لنا أكسير يمكننا من العيش بدون طعام » . وبالرغم من خنبا بمثل هذه الحلول فقد كنا لا نجد لملاج مجزة من هذا القليل أثرا . فكان تأمين الحد الأدنى الضروري من الغذاء مطلبيا ملحا .

وقد قررنا في ذلك اليوم أن نذهب الى ساقية مجاورة لنلتقط الضفادع ، وكنا في مكان منعزل في منطقة جبلية تكسوها أحراج قديمة ، ولم يكن ثلج الشتاء قد ذاب بعد ، ولم تكن الضفادع قد كبرت وترهعت ، ولكننا بذلنا جهدا وتكنا من التقاط خمسين أو ستين كيلو غراما من الضفادع . ويرى ان الضفادع تعتبر في البلدان طعاما فائرا اذا ما أعدت بطريقة جيدة ، الا أن المواد المطلوبة الداخلة في تحضيرها لم تكن متوفرة لدينا ، ناهيك عن أن طبخينا لم يكونوا معتادين على اعداد هذا النوع من الطعام . فتوجهنا الى النار مباشرة وجمعا كل ما كنا قد غنمنا من اليابانيين من قمصات - وسكب المام في تلك القصصات وفي كل منها خمس أو ست ضفادع وبدنا بسلقها . وتملقت بطوننا الجائعة برائحة الضفادع الشهية وهي تسلق فوق النار ، ولم تكن قد تناولنا أي طعام منذ بضعة أيام وسرعان ما أصبح الطعام جاهزا ، واكلفنا وجبنا الفاخرة وشبعنا .

وفي المساء ، أشعل الانصار نار الفرحه ، وتجمعوا في مكان معين وانضم اليهم الرفيق كيم ايل سونغ وتحدث اليهم ، ومما قاله لهم : (٠٠٠ ان بلادنا كوريا تمتد على ثلاثة الاف ري - الري يساوي ٣٩٢٧ م في النظام المترى - وهي في الحقيقة بلاد الانهار والجبال بل انها مجموعة من اللوحات الفاتحة - جبالنا جميلة وأنهارة نقية صافية ، فلا حاجة لتعيم المام حيثما كان - والارض خنبا تغطي غلاا وفيرة ، ويسلك شعبنا واردات طبيعية تفوق حدود حاجته ، وبذلك فاننا نستطيع أن نمش جميعا عيشا رقيدا : وتوجد على طول الشواطئ الشرقية والغربية مصاصات بحرية لا تنضب ، وذلك كله بالإضافة الى المادان الوفيرة في كل مكان ، من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس أو قمع . ولكن الامبرياليين اليابانيين قد سلبوا شعبنا كل هذه الخيرات وحرصوا منها .

ومعجنا (معكرونة) بيونغ يانغ الشهيرة والبطاطا

بوثة واحدة في كل مرة يحتاج باغ بمد أراض يلدنا الجميلة ، وكانوا يصدون ويردون على أعقابهم ببسالة ، فلنكافح كما فعلوا ، بمنزلة لا مثيل لها في سبيل مسرد الامبرياليين اليابانيين وتحرير وطننا بشعور حار بمنزلة القومية ...)

واشمل حماس الانصار ذلك الخطاب المقتضب الذي ألّاه الرفيق كيم وإيل سونغ الذي راح ينشد لنا نشيد « موران بونغ » وقال لنا بأنه أحب أن ينشده منذ أن كان طفلا صغيرا .

وانطلقنا بحضور الرفيق كيم إيل سونغ في مناقشة حامية استمرت طوال الليل ، وكنا نتحدث حول نماذج عن وحدة الطبقة الكادحة الدولية ونروي قصصا عن وطننا الام . ودعم هذا النقاش قناعة لدينا بأن علينا أن نعيش حياة مفيدة . وكان مما تطرقنا اليه من المواضيع حقيقة ان العمال والفلاحين قد نجحوا خلال المئة سنة المنقضية منذ تأسيس الماركسية في تحمل السلطة وفي اقامة الاشتراكية في العالم السادس بأكله ، وبمساعدهم وبدمعهم فقتصد تطورت الطبقة العاملة في الاراء الاربع من العالم وتطور الكفاح من أجل التحرير الوطني ، بينما كانت الرأسمالية أخذة طريقتها بغطى سريّة نحو الدمار والخراب وهي تجابه أزمة ما برحت أن أصبحت عامة شاملة .

حتى أن رفيقا روى قصصا عن الجنيرال اول دجي مون دوک والجنيرال كانغ كام تشان والاميرال ري سون سين وعن آخرين من الاسلاف ، وتكلم كذلك عن ثقافة سيللا التي كانت فيما مضى زهرة في صدر الثقافة الشرقية تزينهما .

ولقد تأثرنا أيضا بأحاديث رفيق آخر اذ أتى على ذكر ما ورثناه من ثقافة لا تقدر بثمن - احرف الطباعة النحاسية ، مرصد في تشوم تسوك كدائي ، المركبات الهجومية الطائرة ، السفن السلحفاة المدرعة ، وتحدث عن الادب الكوري - كل ذلك كان قد تألق طويلا في تاريخ الثقافة الانسانية ، وتحدثنا كذلك عن جبل كوم كانكغ الشهير وعن امواج بحر الشرق الصافية والمناخ المعتدل وعن السماء الصافية في بلادنا صباحا وعن اليتاييخ الساخنة وعن المياه المعدنية وعن منظر البحار البديع وقد تناثرت فيها الجزر هنا وهناك .

لقد كان لشعبنا - وهو يعيش في حديقة ازهار جميلة - تقاليد ثقافية ، الا أنه يعاني الان من بلية كبيرة ومصيبة عظيمة ، فلقد فقد قوميته بجريمة المصوص الامبرياليين اليابانيين ، لقد هجر اناس ارضهم الغالية

وافترق آباء وامهات ونساء واطفال واخوان واخوات لوقت طويل ، لقد كانوا يتاييعون النضال باصرار وتصميم ، فعلياً أن تكون قبضة هذه الفكرة ، وعلى حرايتها ان تنبئ عن حقدنا على العدو .

وكنا كلما امتد بنا الحديث عن الماضي تدعمت ارادتنا في محاربة العدو وابادته . وعدنا بالناكزة الى الارض التي يرقد فيها أسلافنا والى العديد من ذكريات أيام طفولتنا السعيدة والى حزن لا يوصف ألم بنا ونحن نعب نهرى امروك ودومان وتذكرنا التيه والتسول بعد أن تركنا بلادنا الغالية بسبب الامبريالية اليابانية ، وكذلك عدنا بالذاكرة الى القرار الجازم بعدم العودة قط الى الوطن الام ما لم تكن قد سحقت أولئك المصوص الامبرياليين اليابانيين .

كنا نتفكر في تلك الساعة بالذات من ذلك اليوم أن آباءنا وامهاتنا وأخواتنا وهم جميعا مواطنون صالحون مجتهدون صلب ، يمرون بأوقات صعبة وهم يخضعون لسوء معاملة الامبرياليين اليابانيين ولاستغلال لا يفرغان الرحمة ، كنا نفكر بهم وهم ينتظرون ما لعلون الاخوي . وقد ملاحيت الضمير قلوبنا من جديد بمنزلة عن محاربة العدو الامبريالي الياباني وابادته . وقد دم ذلك تصميمنا على المضي قدما لتحية ذلك الحدث العظيم الذي هو لا محال واقع . هكذا كان استعدادنا الثالث المستمر على الدوام .

لذلك فان الاول من ايار عام ١٩٤٠ يوم لا يمكن أن ننساه لا رفاقي ولا أنا : لقد افاد ما أكلناه من الضفادع في وليستنا وثابت أنه الذ من كثير من الاطعمة الفاخرة الراقية . والاهم من ذلك أيضا هو أننا احتفلنا بالاول من ايار في هدوء وسعادة مع الرفيق كيم ايل سونغ ، وهو يحدثنا عن الوطن كما يحدثنا عن الدور الهام الذي لعبته ارواحنا ، كيف يمكننا أن ننسى ذلك الاول من ايار أبدا؟ وعدنا بعد التحرير يوم ١٥ آب مظفرين الى بيونغ يانغ ، فاشترينا المجنات (معكرونة) من بيونغ يانغ والبطاطا الحلوة وسكنا تم سيده من نهر داي دونغ وجميع ما كان الرفيق كيم ايل سونغ قد تحدث عنه بذلك القدر من الفخار والاعتزاز . وفيما كنا نأكل تلك المأكولات تذكرنا أماننا العذبة الغائبة .

وكما بيتت لكم ، لقد عرفنا ، في تلك الفترة المحفوفة بالصعوبات نادرة المثل من أيام الكفاح المسلح ضد اليابانيين ، كيف ندعم في أنفسنا ايمانا قويا لا يتزعزع وقد ساعدنا على ذلك ما كان يحمله الرفيق كيم ايل سونغ من تفاؤل ثوري وساعدنا الهامه وتشجيعه .

حقائق جديدة عن النظام الشمسي والكون ممدوح زكي

السنة الضوئية :

مع تقدم الدراسات الفلكية تضاعفت قدرة الانسان شيئاً فشيئاً بالنسبة الى الكون ، اذ ثبت ان الكون اوسع مما تتصوره أبعد الادفة خيالا ، وأن المسافات التي تفصل بين النظام الشمسي برمته ، والنجوم ، شاسعة الى الحد الذي لا يمكن فيه قياس هذه المسافات بمقاييس الابعاد العادية ، فاضطر الفلكيون الى وضع مقياس جديد - أي « السنة الضوئية » ، وهي المسافة التي يقطعها الضوء في العام الواحد . وبهذا المقياس يصل ضوء الشمس الينا بعد حوالي سبع دقائق ، بينما لا يصل ضوء اقرب النجوم الينا الا بعد مضي خمسة اعوام . وقد يستغرق وصول الضوء المنبعث من نجوم أو مجرات بعيدة أكثر من ٥٠ ألف عام .

وبهذا بدت الارض أكثر فأكثر كأنها مجرد حبة رمل في الكون العظيم الذي يقف العقل مبهوراً امامه . وراح العلماء ، خلال القرون الاخيرة ، يطرحون نظريات عديدة حول النظام الشمسي وكيفية نشوئه ، وعلى ضوء هذه النظريات أطلق بعض الروائيين العنان لمخيلاتهم ، فاقترضوا وجود أحياء اذكيا في كواكب أخرى من النظام الشمسي .

ولم تكن لدى الفلكيين وقتئذ الوسائل التي تمكنهم من دعم هذه الافتراضات أو دحضها . غير أن عصر الفضاء الذي نعيشه الآن قد وضع في أيدي الفلكيين وسائل جديدة لم تكن تتخطر حتى على بال الروائيين أصحاب الخيال الواسع قبل جيل أو جيلين ، منها مثلاً التلسكوبات الموجودة في سفن الفضاء .

أثر السفن الفضائية في رصد الكواكب :

ان وجود الغلاف الجوي حول الارض يحول دون رصد الكواكب بوضوح تام ، مهما كان حجم التلسكوب المستعمل كبيراً ، وحدة عدسته ثابتة . ولذلك لا يمكن أن يعمل على الطيف الضوئي الوارد من النجوم والكواكب لمعرفة ما فيها من عناصر ، لان الغازات الموجودة في الغلاف الجوي تشوش الطيف .

ولما كان الضوء ينتج عن توهج المعادن فإن الطيف الضوئي ، أي الضوء المحلل الى عناصره الاساسية ، يظهر انواع المعادن المنتجة لذلك الضوء . ويمكن التعرف على

اجمل ما يمكن أن يقال عن علم الفلك ، هو أنه علم يحمل الانسان على التواضع . فقد ساد قديماً الاعتقاد بأن الكرة الارضية هي مركز الكون، وكان هذا الاعتقاد متأسلاً متأسلاً عميقاً ، واعتبر أي رأي اخر يعارضه ضرباً من ضروب الزندقة يستحق صاحبها عقاباً بلا رحمة . ولا شك في أن هذا هو السبب الذي جعل « كوبرنيكوس » - العالم والرياضي البولندي في القرن السادس عشر - يخاف المجاهرة برأيه بعد أن أيقن أن الارض ليست سوى كوكب يدور حول الشمس ، خشية الاضطهاد . ولم ينشر كتابه الذي وثبت هذه الحقيقة بدلائل رياضية قاطعة الا بعد وفاته . ولما جاهر « جاليليو » ، العالم والفلكي الايطالي بهذا الرأي نفسه ، بعد « كوبرنيكوس » بقليل ، سبق الى محاكم التفتيش بتهمة البدعة والضلال . وبمرور الايام اثبت العلم صحة هذا الرأي بصورة لا يتطرق اليها الشك . ومنذ ذلك الحين تقلصت أهمية الانسان في الكون، فلم يعد ذلك الناطق الجبار الذي يسيطر على الكون ، باعتبار أنه يسيطر على الارض التي هي - بحسب الاعتقاد القديم - مركز الكون !

على مسرح الحياة

هذه المادان أو العناصر بالمعطوط التي تغترق الطيف عرضا في أماكن معينة ثابتة - ولما كانت التلسكوبات الموجودة في السفن الفضائية ترصد الكواكب من خلال الفضاء الذي يكاد يكون خاليا من الغازات ، فانها تقدم ، بالطبع ، معلومات أدق وأوضح من التلسكوبات الأرضية عن العناصر التي يتكون منها الكوكب .

وتسير في الفضاء اليوم ٧٥ سفينة فضائية في اتجاهات مختلفة ، مرسله سورا تغلب الالباب بدقتها وتفاسيلها - وقد التقطت إحدى هذه السفن سورا للكوكب عطارد يبلغ حجمها خمسة الاف ضعف حجم الصورة الضوئية للمتقطعة بأقوى التلسكوبات الأرضية - وفي وسع عدد من هذه السفن الفضائية القيام أيضا بدراسة الطيف الضوئي الناتج من تحليل ضوء الكوكب قيد الدراسة . وأن ترسل تفاصيل ذلك التحليل الى الأرض - واستفاد الفلكيون كذلك من أجهزة الرادار المحسنة التي سلطوها على الكواكب التي وقع اختيارهم عليها ، فجمعوا بهذه الوسيلة التقنية حقائق جديدة غير أن جل اعتمادهم في هذا الشأن ما زال على السفن الفضائية -

وفي أواخر عام ١٩٤٧ ، أرسلت السفينة الفضائية الأميركية « بايونير ١١ » سورا للكوكب المشتري المتقطعة من مسافة تبعد عنه بمقدار ٢٦ ألف ميل ، أي بنحو عشر المسافة التي تفصل بيننا وبين القمر ، وهي تتنطلق بسرعة ١٠٧ آلاف ميل في الساعة - وقد تبدو مسافة ٦ آلاف ميل بعيدة بالمقاييس الأرضية ، ولكننا اذا تذكرنا أن المشتري يبعد عن الشمس بنحو ٤٨٣ مليون ميل ، أي أكثر من خمسة أضعاف المسافة التي تفصل بيننا وبين الشمس ، وجدنا في الواقع أن « بايونير ١١ » قد اهلت بلام حسنا ، وهي تمر بتلك السرعة المذهلة بين المشتري والاقصبار الدائرة حوله -

وتتجه « بايونير ١١ » في الوقت الحاضر نحو الكوكب زحل ، رغم أنها تتنطلق عبر أجواز الفضاء بسرعة فلكية ، فانه ليس من المنتظر لها أن تصل الى زحل ، أو بالأحرى الى الاجواء المحيطة به الا في عام ١٩٧٩ ، أي بعد حوالي ثلاث سنوات من الان

معلومات جديدة عن المشتري :

فما هي المعلومات الجديدة التي طلعت بها علينا السفينة « بايونير ١١ » حول المشتري ؟

المعروف أن النظام الشمسي يضم (بالإضافة الى كوكبنا الأرضي ، والمريخ ، والزهرة) أربعة كواكب ضخمة ، وهي على التوالي : المشتري ، وزحل ، وأورانوس

ونبتون - وهذه الكواكب الاربية الدائرة في مدارات بعيدة عن الشمس تضم معا القسم الاعظم من كتل المادة التي يحوزها النظام الشمسي - والمشتري هو أضخم هذه الكواكب الاربية ، ويضم بعد ذاته نحو ثلثي مجموع المواد الموجودة في النظام الشمسي - وهذا ما دعا أحد الفلكيين وهو يوضح هذه الحقيقة أن يقول :

« ان النظام الشمسي يتألف من الشمس والمشتري ، وقطع أخرى متناثرة ! » -

أجل ان المشتري كوكب ضخم ، غير أن ثقله النوعي منخفض نسبيا بالرغم من أن حجمه يزيد على حجم الأرض بأحد عشر ضعفا ، ومرد ذلك الى أن معظم العناصر الداخلة في تركيبه هي عناصر خفيفة الوزن مثل الهيدروجين والهيليوم - والواقع أن تركيبه المادي شبيه الى حد كبير بالتركيب المادي للنجوم الثوابت التي تشع بأضوائها النيرة -

والرأي السائد بين علماء الفلك الان هو أن طبيعة الكواكب الداخلة في النظام الشمسي لم يطرا عليها تغير يذكر منذ أن تكون هذا النظام ، وعليه فإن المشتري يتكون من حيث الاساس من سائل ساخن قد يطوى في مركزه لبيا صلبا صغيرا ، ولهذا فانه يشع مقدارا من الحرارة يفوق المقدار الذي يستمد من الشمس -

أما الظاهرة البارزة المثيرة في المشتري فتكمن في البقعة الحمراء التي تمكن رؤيتها بالتلسكوب العادي - ويبلغ طول هذه البقعة حوالي ٣٠ ألف ميل ، أي أنها أطول من محيط الأرض بنحو خمسة الاف ميل - ويبدو من الدراسات الفضائية الجارية الان أن هذه البقعة سيبها عاصفة هوجاء تهب في غلاف المشتري الجوي ، ولما كان الفلكيون قد لاحظوا هذه البقعة بالذات منذ ما قبل ثلاثمائة عام ، فلا بد من أن تكون تلك العاصفة قائمة منذ قرون -

بيد أن الامر الذي أثار العلماء بعسرة خاصة هو أن تحليل الطيف الضوئي الذي أرسلته السفينة الفضائية « بايونير ١١ » ، يثبت بشكل لا يتطرق اليه الشك وجود غاز الاوكسجين في غلافه الجوي ، وهذه الظاهرة مثيرة حقا ، اذ تجعل وجود الاحياء على أرض المشتري أمرا ممكنا - غير أن طبيعة هذه الكائنات الحية ، لو فرضنا وجودها ، ليست معروفة ، وبمع ذلك لا بد لها ، ان وجدت ، من أن تختلف اختلافا كليا عن الكائنات الحية التي نعرفها على وجه الأرض ، نظرا الى خصائص المشتري -

وقد قال أحد الفلكيين في هذا السياق : « في الواقع أننا لا نعلم حتى الان شيئا كثيرا عن حقيقة الحياة التي قد تكون موجودة على المشتري - وربما كانت تلك الحياة

على مسرح الحياة

ذات مظاهر تختلف اختلافاً كلياً عن تلك الموجودة على وجه الأرض . غير أن وجود الأوكسجين على سطح المشتري من شأنه أن يقرب الاحتمال بوجود كائنات حية على سطحه وهي في الأرجح كائنات حية من طراز آخر .

طبيعة الكواكب الأخرى :

ومهما كان من أمر المشتري وما قد يطويه من حقائق ما زالت غامضة ، فإن الأمر الذي حير الفلكيين أكثر من ذلك هو طبيعة الكواكب القريبة من الشمس ، وبخاصة طبيعة « الزهرة » ، إذ أن رصد هذا الكوكب كان متعذراً جداً حتى الآن بسبب غلافه السميك الكثافة . ويبدو من الدراسات الفضائية التي أجريت بواسطة السفن الفضائية أن الغلاف الجوي للزهرة يتألف من ثاني أكسيد الكربون (الفحم) بنسبة ٩٧ في المائة وأن الضغط الجوي على سطح هذا الكوكب يفوق الضغط الجوي على الأرض بمقدار ٩٥ ضعفاً ولما كان من طبيعة ثاني أكسيد الكربون حيز الحرارة ، فإن درجة الحرارة على سطح الزهرة هي ٤٠٠ درجة مئوية ثابتة لا تتغير سواء في الليل أو النهار . وفيما عد ذلك فإنه كوكب يشبه الأرض من نواح عديدة . فطهرة مسائل لقطر الأرض ، وكثافته قريبة أيضاً من كثافة الأرض ، ويقول الفلكيون أن وضعه الحالي يشبه وضع الأرض قبل ثلاثة آلاف مليون عام . أي قبل أن تظهر على الأرض الحياة النباتية للبداية ، عندما تحول ثاني أكسيد الكربون في ذلك العهد السحيق إلى مواد سكرية ونشوية راحت بدورها تطلق الأوكسجين في الجو .

هل يمكن تحويل الزهرة إلى كوكب قابل للاستيطان ؟ على ضوء الحقائق الانفة اقترح البرفسور « كير ساجان » ، المتخصص في دراسة الامكانيات الحياتية في الكواكب الأخرى ، خطة ترسي إلى أحداث تغير جذري في الغلاف الجوي للكوكب الزهرة . بحيث يتطور ويصبح قابلاً للاستيطان . ويقترح البرفسور « ساجان » إطلاق نوع من الطحالب في جو الزهرة بحيث تتولى هذه النباتات البدائية عملية تحويل ثاني أكسيد الكربون إلى مواد نشوية وسكرية تطلق بدورها الأوكسجين في الجو . فإذا استهلكت هذه النباتات ثاني أكسيد الكربون ، انخفضت الحرارة على سطح الكوكب بالتدريج إلى أن يصبح لائقاً للاقامة عليه . غير أن مثل هذه العملية تستلزم مقادير مذهلة من الطحالب ، كما لا يخفى ، بشكل يفوق ما يتصوره العقل أو يستطيع أن يتصوره . فهل من حيلة في تحقيق ذلك ؟

يرى البرفسور « ساجان » أن الطحالب التي ستطلق كدفعة أولى إلى جو الزهرة ستصمد وتظل على قيد الحياة ،

وبالتالي ستتكاثر وتتوالد تلقائياً ، تماماً مثلما حصل على وجه الأرض في أول الأمر . ويرى كذلك أن جزءاً من الأوكسجين الذي ستولده هذه النباتات سيتحول إلى « أوزون » ليحمي القاطنين على الزهرة من الاحتراق بالاشعة فوق البنفسجية ، كما هي الحال على وجه الأرض .

ولكن الحياة ، على النحو الذي نعرفها به نحن ، تتوقف على توفر الماء ، وليس ثمة من دليل على وجود الماء على الزهرة . في هذا يقول البرفسور « ساجان » أن الماء الذي في الزهرة يتحول بسرعة إلى غازي الأوكسجين والهيدروجين بفعل الأشعة فوق البنفسجية الحادة على سطحه ثم أن وجود سحب حامض البريتيك على هيئة غاز في جو الزهرة يدل على وجود الماء فيه .

أثر وجود البراكين وعدم وجودها :

لم يشاهد أحد من الفلكيين حتى الآن وجود أي أثر لبركان ما على وجه الزهرة . ومع ذلك بينت الدراسات الرادارية وجود أماكن نائمة على سطحه ، الأمر الذي يدل على أن هذا الكوكب قد تغير منذ أن تكون ، وطرأت على سطحه تبدلات ذات شأن لا بد من أن يكون مردها إلى براكين أو زلازل . وبناء على ذلك ليس من المستبعد أن توجد في لب الزهرة مقادير من الصخور المصهورة ، ثم أن آثار البراكين هي من ضمن المعالم الظاهرة في الكواكب الأخرى القريبة من الشمس ، من أمثال عطارد والمريخ ولا شك في أن هذه الكواكب . وليس هناك من سبب يدعو إلى استبعاد هذه الحالة بالذات من الزهرة . فوجود البراكين يعني أن هذه الكواكب قد سكنت في دور من الادوار ، بفعل سبب ما ، إلى حد انصهرت فيه الصخور الموجودة فيها ، ثم ترسبت تلك الصخور في طبقات متباينة في الكثافة ، بحيث ترسخت الثقيلة منها تحت الخفيفة ، كما هي الحال في الصخور التي تزلف جزءاً من القشرة الأرضية .

وإذا أخذنا الكوكب « عطارد » وجدناه ذا ثقل نوعي عال وله حقله المغناطيسي مما يدل على أنه ذو لب معدني والصخور التي تغطتها السفن الفضائية التي مرت على مقربة منه تبين بوضوح آثار السيول المعدنية التي تدلقت فيما مضى من عدد كبير من البراكين الموجودة عليه . ورغم أن هذه البراكين غامدة الآن ، فإن قواها تنترامى جلية واضحة .

كيف تكون النظام الشمسي ؟

إن الأمثلة التي قد تتبادر إلى الذهن هنا من شأنها أن تدور حول مصدر تلك الحرارة العالية التي تسببت في صهر الصخور على هذه الشائكة ، وكيف تكونت مثل هذه

الحرارة في بواطن تلك الكواكب • ولو فرضنا أنها تكونت بصورة تلقائية ، فهل تفسر هذه الظاهرة بعض التواحي الفاضلة في كيفية تكون النظام الشمسي ؟

ان أشد الكواكب اثارة في النفس من كلتا الناحيتين الفلكية والفيزيائية هو المريخ ، اذ أنه مغلف بخلاف جوي مثل الارض ، ولان فيه منطقتين قطبيتين تتسمان أولتصقان تبعا للمواسم • وقد حسب الفلكيون في مستهل هذا القرن أنهم اكتشفوا قنوات منتظمة يقطع بعضها بعضا على مراحل على سطح المريخ ، وقالوا ان تلك القنوات تغسلها مناطق خضراء في نقاط تقاطعها • غير أن الدراسات الفضاوية الاخيرة فندت نظرية القنوات هذه ، وأظهرت أن تلك القنوات إنما هي وديان لانهار جفت منذ عهد بعيد • وعلاوة على ذلك اكتشفت السفن الفضائية حقائق أخرى ، لا تقل غرابة عن اكتشافها لحقيقة تلك القنوات التي بطلت أهميتها •

ولعل أهم ما اكتشفته وجود براكين عديدة على سطح المريخ ، من ضمنها البركان العظيم الواقع قرب الجبل المسمى « أوليمبوس » ، وهو أعظم بركان في النظام الشمسي طرا ، مما يدل على أن المريخ كان ساخنا في زمن ما وأن له معدني التركيب • وفي أواسط سطح هذا الكوكب شاعت السفن الفضائية ترسبات أحدثتها الرياح العاتية وصغورا تأكلت بفعل تلك الرياح •

على أن الاسر الذي أثار دهشة الفلكيين واستحوذ عليهم هو أن أسطح المريخ، وعطارد ، والقمر ، مكسوة بغوامت تحاكي فوهات البراكين ، غير أنها في الواقع ناتجة عن تعرض تلك الأسطح الى قصف جوي شديد بالصخور الضخمة التي انهارت عليها من الفضاء الخارجي، ومن مائل تقنع الى ما وراء الافلاك التي تسير فيها المذنبات • وفي الحقيقة التي اكتشفت مؤخرا أدت الى تعقيدات في النظريات السائدة حول كيفية نشوء النظام الشمسي كان في بداية عهده سحابة عظيمة تتألف من الغازات والافيرة بشكل يحاكي كوكبه الجبار (الجوزاء) على النحو الذي نشاهدنا اليوم • ثم حدث أن مرت تلك السحابة بطرف المجرة المروعة باسم « سحابة البش » قبل نحو ٤٥٠٠ مليون عام ، فتناثرت وراحت تنهار سراعا وتبتد • وتشكل من ذلك التبدد والانهار قرص دوار • وتكاثف ذك القرص بمائل الدوران ، وحجز جزءا من الحرارة التي أنتجتها تلقائيا ، وكان القرص في تلك المرحلة ساخنا الذي تحولت فيه جميع المواد التي يطوبها الى أبخرة • غير أنه كلما ازدادت سرعته في الدوران بفعل الاستمرارية ، تكاثف وصار يبرد ويتصلب ، ولم تلبث أن

تشكلت فيه المعادن التي صارت تجذب نحو مركزه ، بينما صارت الغازات تتجمد عن المركز وتحيط بالقرص • ثم تشكل من تلك المواد المتصلبة عدد لا يحصى من الكتل التي هي أصغر حجما من القمر ، واجتذبت هذه الكتل بدورها عددا أكبر فأكبر من المواد الصلبة اليها • وهكذا تكونت الشمس والكواكب القريبة منها • أما الغازات المحيطة بالقرص فتصلبت هي بدورها مع مر الزمان ، فكانت الكواكب البعيدة ويقول الفلكيون ان هذه العمليات برمتها قد جرت بعد انهيار السحابة الرئيسية بعد قصيرة حسب المقياس الفلكي للزمن ، أي أنها استغرقت أكثر من بضع مئات من ملايين السنين !

كذب النجمون ولو صدقوا !

ولكن حتى ولو سحت هذه النظرية ، فإن هناك أسئلة عديدة تعجز هي عن تفسيرها والاجابة عليها • فمثلا • • من أين جاءت تلك الصخور التي عرضت الكواكب لقصف جوي فضائي شديد ؟ وفي الفلك الواقع بين المريخ والمشتري يوجد عدد كبير من الكواكب الصغيرة الدائرة حول الشمس • فلماذا لم تتشكل هذه الكواكب مما لتؤلف كوكبا اخر مستقلا بذاته كبقية الكواكب السيارة ؟ • ولو فرضنا أن كوكبا من هذا القبيل قد تشكل فعلا ، فلماذا انهار بعد وتبدد ؟ • وأخيرا لماذا اجتذبت المواد المتصلبة في القرص الرئيسي الى نحو أربعين مركزا في النظام الشمسي حصرا ؟ • هذه أسئلة مهمة ، والاجابة عليها لا يد من أن تفسر بعض المظاهر الفاضلة المهمة في تشكل النظام الشمسي • وهي مسألة مهمة كذلك اذ أنها ذات صلة وثيقة بتفسير غوامض الكون ، ومن طليعة الكون أن يتبع قوانين وسننا معينة ثابتة لا يحد عنها البتة وعليه فان القوانين والسنن الجارية في بعض الانظمة الشمسية في الكون ، هي عين القوانين والسنن السارية في نظامنا الشمسي • فإذا استطعنا التوصل الى حقيقة تلك القوانين ، أمكننا أن نعلم عن يقين ما يجري في كل جهة من جهات الكون ، سواء القريبة منها أو البعيدة • والحقيقة التي تترامى اليوم أمامنا هي أن عملية كونية قد بدأت تتفاعل قبل نحو ٤٥٠٠ مليون سنة ، فأدت الى تكون نظامنا الشمسي بكواكب ، وأرضه وكنائنه الحية الناطقة وغير الناطقة • ولعل عملية مماثلة لهذه قد جرت على النمط نفسه والطريقة ذاتها • وتخفضت عن نتائج مماثلة في وقت اخر وفي مكان اخر من الكون ، أو لعل عملية من هذا القبيل تجري الان في مكان يبعد كل البعد عن نظامنا الذي يشكل برمته « حصوة » ، في العجم ، اذا ما قيس بالكون النيسج اللامتناهي !

تاريخ الطب العربي

من تاريخ الطب العربي ، وسيوزع دليل مطبوع يتضمن نماذج من الصور ، وشرحا لكل واحدة وصاحبها بشكل علمي .

● صدرت الملك عزام مجموعة قصصية جديدة ، بعنوان « العالم يبدأ من هنا » تضم تسع قصص ، تتناول قضايا انسانية وقومية ، كتبت بأسلوب رمزي مبسط ، مبني على أرضية واقعية قريبة الى النفس والذهن .

● يبدو أن « لعبة الشطرنج » بدأت تنال اهتماما كبيرا من لاعبيها وغيرهم ، فصدرت عدة كتب ، تناولت هذه اللعبة بالدراسة ، آخر ما صدر في دمشق كتاب « نهايات الشطرنج » للسيد محمد راشد الامري ، تضمن الكتاب الاسس والقواعد العلمية لفن النهايات ، ويضم ٢٢٢ رسما توضيحيا ، سبق للمؤلف نشر عدد كبير من البحوث والدراسات التي تبين أهمية الشطرنج ودوره البارز في تطوير الفكر الاقتصادي .

● انتهى ممدوح عمران من كتابة مسرحية جديدة ، بعنوان « هملت يستيقظ متأخرا » هي اعادة لكتابة مسرحية شكسبير الخالدة ، واضعا أحداثها في اطار جديد مستوحى من حياة الانسان العربي .

● الملاحظ : أن رائية شكسبير ، تناوب على اعادة كتابتها كثير من المسرحيين الانكليز ، وتقديمها للمسرح في اهاب جديدة .

● تحت الطبع كتاب جديد بعنوان « واحترقت بيروت » لاستاذ حمزة أبو الفتوح ، وكيل وزارة الاعلام السعودية ، تناول فيه مأساة لبنان الدامية ، التي تحولت الى مادة خصبية للعديد من الكتب التي بوشر باصدارها .

● زار القطر العربي السوري الشاعر الدبلوماسي اليمني محمد الطريقي ، وقصد اسعد لطبع مسرحيتين شعريتين « الانتظار لن يطول » و « الغائب يعود » . بالإضافة الى مجموعة شعرية ، عنوانها « منها » . واليهاء سبق للشاعر أن كتب مسرحيتين ، ونشر خمس مجموعات شعرية له ، كان آخرها « معها أبداً ٠٠٠ » . تتنوع موضوعات الشاعر في دواوينه كلها ، الا أن الموضوع الرئيسي في شعره كله ، هو المرأة ، موضوعا وقضية .

● صدرت من دار نشر مكتبة الغزالي في حماه ، مجموعة قصصية للمناشئين ، كتبها الاستاذ نزار نجار ، تحكي قصص البطولات العربية الاسلامية ، وتعتمد الى الانهاض حكايات أبطال أسهموا في رفع لواء الامة العربية

● سكن قلب الشاعر وهدأت نفسه ، بعد صراع مرير مع الداء ، ألزمه سريره طويلا ، وهدته مأساته الخاصة ومأساة وطنه الجريح ، فاستفتنا كسل طاقاته الروحية والجسدية ، وأبدته الى الابد ، عن الشعر والمحب والمجمال .

● قضى الشاعر الكبير أمين نخلة ، وقد كان يتأهب ليتربع على هامة الشعر العربي ، فانفرد الطائر ، وترك رفاقه : الشعراء يتزاحمون ، ويتنظرون .

● لقد أعطى الشاعر الكبير ما كان ينبغي له أن يعطي ، وتسرك الحكم عليه للزمن ، فلما خلدو وإما موت ، وما نظنه إلا من الخالدين .

● دفعت وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق ، بموسمها الثقافي الجديد ، الى المطابع عديداً من الكتب المترجمة والمؤلفة . وسرى النور قريباً .

● من الكتب المترجمة : « الحضارة على مفترق الطرق » ترجمة الاستاذ يحيى عني أديب .

● والجزء الثاني من الكتاب الثالث من رأس المال ، ترجمة الاستاذ أنطون حمصي .

● ومن الكتب المؤلفة : « أدب الحرب » لحسان مينة والديكتورة نجاح العطار و « السماء تعمل خرقاً » لدلال حاتم . و « مشاركة المرأة العربية في الحياة العامة » لنبيهة الرزاز .

● « حركة الاحياء النفوي في بلاد الشام » صدر في دمشق للدكتورة نشأت ظبيان ، رصدت فيه ماهية حركة الاحياء ، والسبل التي سلكتها هذه الحركة في نشر التراث ، كما رصدت تجرباتها ، متتبعة الحركة التاريخية لدراسة التطور الفكري والنفوي العربيين في العصر الحديث ، وتناولت حركة البعث اللساني ، كتطوير معجمات الالفاظ والمعاني والاعلام ، وتحقيق الذات العربية .

● كما تناولت بالبحث الهادف المركز حركة جمع علوم اللغة من صرف ونحو وبلاغة وفقه لغة ، والطرق النحوي سلكت في تبويبها وتطويرها ، ودرست افضل السبل لتذليل الصعوبات المختلفة التي تعترض علوم اللغة .

● كتاب سد فراغا في المكتبة العربية ، وهو جدير بالدراسة الاستفادة .

● ستقيم الجمعية السورية لتاريخ العلوم ، معرضاً للرسم في تاريخ الطب العربي ، في دمشق وحلب ، وسيضم المعرض ١٣ لوحة كبيرة ، بريشة سلمان قطاية ، مستوحاة

نحو المجد والمهزة ، أسلوب هذه القصص شيق جديد ، يناسب الناشئين ويحفزهم على الاهتمام بالتراث العربي الخالد .

● كان العدد الاخير من مجلة « عالم الفكر » التي تصدرها وزارة الاعلام الكويتية عن المرأة ، ضم عددا من الدراسات لبعض المفكرين العرب ، مثل المرأة والحضارة ، ومكانة المرأة في التشريع الاسلامي ، وحياة المرأة في القرى العربية الاسلامية ، الى جانب بحث آخرى عن الشعر الروسي الحديث ، وعن فنائين ..

● دفع الدكتور ابراهيم السامرائي الى المطبعة في بغداد ، كتابه الجديد « اصالة لغة المتنبي » ، درس فيه مقومات اللغة الشعرية عند المتنبي في ضوء المفاهيم الحديثة وابهام هذه المقومات ، والكيفية التي تقوم عليه جملة الشعرية وعلاقتها بتركيب الصورة عنده .

● « ويسمونه الحب » آخر مجموعة شعرية صدرت في بغداد للشاعرة ليمة عمار . الشاعرة تكتب الشعر العربي الاصيل ، وتكتب الشعر الحديث ايضا ، وموضوع القصيدة هو الذي يفرض عليها شكلها ، فاذا ما شاركت بمرحما لشاعر اصيل ، فانها تلزم الوزن والقافية ، اما حين تعبر عن خجلاتها الجودانية ، فانها تكتب الشعر بلغة واسلوب حديثين ، الشاعرة كانت صديقة للسياح اوجت اليه بعضا من قصائده .

● « مصطفى محمود ، شاهد على عصرة » كتاب جديد للاستاذ جلال العشري ، صدر عن دار المعارف في القاهرة ، درس فيه مؤلفه ، عطاء الاستاذ مصطفى محمود في شتى المعارف العلمية والفنية والثقافية ، في محاولة لابراز ما حققه الاستاذ مصطفى من ضروب الفكر والمقيدة والقصة والمسرح ، وما اخفق فيه ايضا ، حماس المؤلف لهذا الفكر ، اخفى الكثير مما يجب ان يبرزه ، وبرغم هذا ، فان هذه الدراسة شيقة وواعية ، ومكتبتى بحاجة الى مزيد من الدراسات عن ادبائنا ومفكرينا بأقلام تتحلل بمعرفة الموضوع الذي تدرسه .

● احتفلت الجزائر بتكريم شاعرها الكبير « محمد العيد آل خليفة » في قاعة « الوفصار » في العاصمة الجزائرية . اشترك في هذا الحفل رجال الدولة والفكر والادب والاعلام .

محمد العيد ، كبير شعراء الجزائر ، تخطى عتبة السبعين من عمره ، وشعره سجل حافل لنضال الجزائريين اجتماعيا وسياسيا ، على مساحة زمنية تنوف على خمسين عاما ، طبعت وزارة التربية الجزائرية ديوانه في عام ١٩٦٧ في نغقتها ، ونال جائزة اتحاد الكتاب الجزائريين . وهو عضو بمجمع اللغة العربية في دمشق .

● وعن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر ،

صدر كتاب للادبية الجزائرية زهور وينسي ، عنوانه « على الشاطئ ، الاخر » التعلقت صورته من حقائق الثورة الجزائرية ، ومن مواقف صمودها وانتصاراتها ، ومن نضال الفقراء من كل فئات الشعب ، حيث عاشت المؤلفات في الاحياء الفقيرة الثورة ، ازاحت المؤلفات القناع بقلعها العربي الاصيل عن الامور التي كان يتسبب في وجودها الاستعمار الفرنسي الذي عزل الشعب عن العالم وفر عليه اجهل والفقر تمتاز المؤلفات بالسرد الطويل غير الملل ، بأسلوب رشيق شيق .

● يلقي المهرجان الكبير الذي اقيم في لندن للاثار الاسلامية ، المزيد من التقدير والاعجاب ، فافردت الصحف البريطانية عددا من اعمدها للحدث عنه ، وتقييم الآثار الاسلامية المروضة فيه .

الجناب اليمني ، اثار الاعجاب بشكل خاص ، وكذلك الجناب الهندي . قدم الموسيقار العربي « سليمان شكر » معزوفات موسيقية رائعة ، فقد قام بمحاولة فريدة ورائدة ، يشد أوتار « اللود » على « العود » لتوسيع الاداء النغمي للعود ، وقد افلح .

● اقيم في موسكو معرض للفنيسفاء التونسية القديمة ، للفترة الواقعة بين القرنين الثاني والخامس الميلادي ، وزعت دراسات قيمة ، تناولت الفن التونسي في تلك الفترة ، ونقله الى تونس عن مصر وروما ، مما كان له الاثر الكبير في تعامل هذين الفنين بالبيئة التونسية وفي خلق فن جديد له خصائص مميزة .

● «دفاع عن صيرانة » كتاب ترجمه الى العربية الدكتور على فهمي خشم ، ونشر في الجمهورية العربية الليبية ، وصيرانة ، هي واحدة من المدن الثلاث التي تقوم عليها مدينة طرابلس ، والمدنيتان الاخريان ، هما « اديان » و « ليد » .

تناول المترجم في مقدمته ، وفي صفحات أخرى ، حياة الفيلسوف « لوكيوس ابيوليوس » وأهم أعماله الادبية والفلسفية ، وأثبت أن هذا الفيلسوف ما كان رومانيا ، وإنما كان ليبيا ، بالعلمى القديم لهذه الكلمة ، الكتاب يدافع عن هذا الفيلسوف الذي قدم للمحاكمة بتهمة بلاغة وجماله وزواجه من امرأة ثرية ، وبالسحر الاسود . ويتضمن أيضا سردا لسبل من معارف الاقدمين ، مستشهدا بآراء فلاسفة ذلك العصر ومن سبقوه ، التي نبئت على ارض عربية .

● في باريس ، أعيدت طباعة كتاب «أساسة العلاج » للمستشرق الفرنسي « لوي ماسينيون » في أربعة مجلدات تعرض فيها المؤلف لأساسة العلاج الصولي العربي المعروف ، وتحدث عن الاوضاع السياسية والاجتماعية والحضارية في عصره ، باستفاضة شيقة .

رسائل الأصقاع

رسالة من شنفهاي

الى بغداد

الساعات لديهم .. هذه مجرد خاطرة عنت على بالي
وانا اكتب اليك رسالتي الاول من شنفهاي ..

المصور التي في الكتاب غير واضحة لاسيما صورة
الباروني .. وقد خان رحمه الله مقبلا في بغداد - وقد
ذكرت هذا في كتابك - وكنت اراه كل يوم في كلية
الامام الاعظم .. وان له أكثر من صورة التقطت فسي
بغداد وربما كان الاستاذ كمال الدين الطائي يحتفظ
بشيء منها ..

ومن ذلك كذلك صورتك وصورة العقلية فانهما
غامضتان وربما كانت صورة ذات العين الواحدة اوضح
بمقياس بعيد من صورة العقلية الكريمة بحيث يضمن
من يرى ذلك أنك فعلت في هذا فعل من يكسو زوجته
الجرمي الابيض ..

وهي ذكر هذه النقطة أود التعليق على مسألة
الحجاب الذي يستعمل في بلادنا وما انتهى اليه فريق
كبير من النساء بفعل رد الفعل من التزيؤ بأزياء العصر
الحديث ..

الا يرى سيدي الاخ أن الفتاة الماصرة قد بدأت
تكثُر من العيث في هذا الموضوع والا فما هذه السراويل
التي تطول وتعرض وتلتوي وتضيق وتتسع وما هذا
التخلع الغريب والفتج والانتمار في المساحيق بحيث لم
تتج الميرون النجل من اوراق أعاليها واسافلها الى غير
ذلك من المجانب السبع .. فهل وجدت لهذا التبدل من
حسيلة وتطور حضاري وسياسي وعلمي ملحوظ ..

اننا نفرط في اتهام الرجل في احتجاز زوجته
دون أن نجعل له عدرا من الظروف المحلية المتقلبة ..
تري ماذا يصنع الرجل حين يتغلب الطليان على بلده
حكما مسيطرين وغزاة مدمرين أفلا يسد جميع المنافذ
التي تطل على بيته ويحول دون خروج نسائه عرض
الشوارع لثلا يقعن في قبضة الجند المحتل ..

وفي العراق ألم يكن الامر كذلك حقبة من الزمن ؟
ثم ما قيمة الملابس ذات الاشكال المتغيرة ان كانت
جادة مشحنة ؟

ان تعليقاتك العميقة الصائبة دائما يجب ان
تنتهي الى نتائج ذات جدوى ملحوظة دون أن تتوقف عند
حد ارضاء فئات معينة .. والسلام عليكم .
المخلص : الشيخ جلال العنفي

شنفهاي في ٢٩-٢-١٩٧٦ « ٢٨ صفر ١٣٩٦ » هـ
الاخ الاستاذ ناجي جواد الرحالة البغدادي المبدع:
تسلمت كتابك الممتع « ليبيا » قبل اسبوع وكان
تاريخ اهدائه في ١٠-٨-١٩٧٥ .. وليس هذا بغريب
فلقد تمكنت بعض المواد البريدية عاما كاملا في الطريق ..
لقد كنت دقيق الوصف للمرائي التي رايتها فكان
ما كتبه أشبه بالصورة الفوتوغرافية الملونة ومن هنا
كان كتابك ذا قيمة عالية جدا ..

ان الذي كان قد استقر في ذهني من أمر سكان
ليبيا قد زاد استقرارا وثبوتا فاني لم أزر هذه الارض ..
وقد وددت أن أزيد على ما كتبت في سيرة عمر
المختار المجاهد الليبي فان الرجل لم يستسلم للايطاليين،
وانما سلمه اليهم رجل اخر على ما حدثني الدكتور
مدحود حتي وقد عاش هناك أمدا من الزمن سفيرا
لبلاده ..

جاء في ص ٢٩ - ما يفهم منه أن الشرع لم
يمنع المرأة بحق اختيار الزوج .. كما جاء في ذات
الصفحة أن المذهب الاباضي يوجب اخذ موافقة الزوجة
على زوجها ممن يراد لها أن تتزوج منه .. والذي أعرفه
تمام المعرفة أن الشرع الاسلامي بجميع مذاهبه يوجب
أخذ موافقة المرأة عند تزويجها .. أما ان يكون في
الناس من لا يلتزم بهذا الحكم الشرعي فان ذلك لا علاقة
له بأصل الحكم الشرعي .. وليس الاباضية وحدهم
بالمفردين في هذا الامر ..

كنت مبدا كل الادباع فيما كتبه في الصفحة
الحادية والسبعين مما ينضوي الى لواء الادب السذي
يسمونه بالادب المكشوف ، فلقد كنت ذا بيان يتحجج في
مجاري تفك السطور الراققة الممتعة .. والمهم في هذا
أنك كشفت بعبارات يسيرة من نفسك اللطيفة
وحسك الرقيق ومزاجك المرح المذهب ..

اتمتي لو زرت الصين وجبت آنعاما فانك ستعود
منها بكتاب يستهوي قراءه الكثيرين .. وعلى ذكر الصين
وما أنت متفحص به من تجارة الساعات أود أن أرى
رايك في الساعات الصينية التي تصنع في مسانئع شنفهاي
فهل وجدتها معروضة في الاسواق المحلية وهل لاقته
شيئا منها من قبل .. وما المانع من مراجعة سفارة
الصين ببغداد ليهيئوا لك زيارة الى الصين للإمام بصناعة

خليل الهنداوي في ذمة الله

- نمت انشاء حلب ، الاديب الكبير الاستاذ خليل هنداوي ، الذي انتقل الى رحمة الله ، يوم الاربعاء ، التاسع من حزيران ١٩٧٦ . وقد كان لهذا النبأ ، الاثر البالغ في نفوس عارفي الاستاذ الهنداوي ومقدي أدبه . وقد افنى حياته في خدمة أمته ، مدرسا واديبا وشاعرا .
- ومجلة « الثقافة التي كان للفقيه الكبير ، مكاتنه الكبرى لديها ، ترفع الى ابنائه وعائلته ومحبي أدبه وطلابه ومقدي فضله ، اصدق التعازي ، سائلة المولى أن يتغمده برحمته ورضوانه .
- ولد الاستاذ خليل هنداوي في صيدا عام ١٩٠٦ .
- غادر لبنان الى سورية عام ١٩٢٨ .
- مارس التعليم في صيدا وعمره سبعة عشر عاما ، وفي قرية من قرى لبنان من عام ١٩٣٥ الى عام ١٩٣٧ .
- عين مدرسا للادب العربي عام ١٩٣٩ في مدرسة تجهيز دير الزور ، وفيها استكمل مطالعته وثقافته ، وبدأ كتاباته الاولى .
- في عام ١٩٣٩ انتقل الى حلب ، فدرس في مدارسها الثانوية .
- في عام ١٩٥٨ نقل مديرا للمركز الثقافي العربي فيها ، ثم اعيد الى التدريس .
- احيل على المعاش في عام ١٩٦٥ .
- تزوج مرتين ، وانجب سبعة اولاد .
- جمع بين الثقافتين العربية والفرنسية ، وقد ترجم عنها كثيرا من روائعها .
- زار مصر ، وفلسطين قبل الاحتلال الصهيوني ، واوروبا الشرقية ، والغربية ، والولايات المتحدة الامريكية .
- حضر بعض المؤتمرات الادبية ، كان اخرها المؤتمر الخاص بادباء افريقيا واسيا الذي انعقد في بيروت عام ١٩٦٧ .
- كان ، يوم وفاته ، رئيسا لفرع اتحاد الكتاب العرب في حلب .
- من مؤلفاته : تعتبر مجلة « الثقافة » اضا نشرت له مسرحياته في كتاب عنوانه « زهرة البركان » . ونشر كثيرا من المقالات والدراسات ، والعصاف في المجالات التي تصدر في كثير من الاقطار العربية .

نقدات عابرة

الشعر الحديث في ..

أغنيات للدمعة البالية

سريه حبيبي

الشكلية قد أصابت فكتب هذه العشرين قصيدة شعرا حديثا
موزعا في أقسام أربعة ، ثلاثة منها من شعر التفعيلة ،
ورأبها / للارصفة البالية / من قصائد النثر - كما يسمها
هو - ومن النثر الشعري كما أحب أن أسميها ، غير أنه
لم يصل فيها - عدا واحدة - الى شيء من الشعر الحديث .

الملمح البارز في أشعار الديوان كلها هو حديث
الشاعر من دمشق ، أو بتعبير أدق / دمشق عنده / ، دمشق
التي يتسكع فيها تحت المطر ، وينتقل من رصيف بال الى
آخر مشابه ، من أزقة جانبة الى أخرى أكثر جورا ،
فالشاعر / لانه يحب دمشق على طريقتة الخاصة - اذا كان
هذا حبا - / يرى هذه المدينة (غادة) ، ولكنها (غادة
كسول) :

كفافة كسول ،

تكحل الجفون بالبهار

تدمن الحدود للزوار

وتنيري ،

تطل من خلال مغدع ملول

سريرها مبعض الستار

وجائع هو المدار في عيونها

وحائر هو المدار

هذه الغادة يركب اليها الشاعر (حصان الريح)
ويدخلها مليء (الجيوب بالنقود) ، تاركا رصمه في قريته
الوادعة ذ /

قبل أن أراك يا دمشق

كنت صاحب تاج عريق من الفرح والاعاني

كنت ملكا على الريح والمطر ، ومناطق أكثر

عروس الارض ، وعشيتي نجمة فضية في

الاعالي

على هذا الموالم يرى الشاعر دمشق ، ولكنني - أنا
القارئ - لم أر دمشق في شعره ، ولم أعرف لها هوية ،
فكثرت أولئك الذين عاشوا في دمشق سنين طويلة دون أن
يعرفوها ، واذن أين ذهب جهد الشاعر في هذه الصور
الشعرية التي حشدتها لتصوير ما أراد ؟! لقد انصرف
هذا الجهد الى استغلال دمشق أخرى دمشق ذاتية ، دمشق
من منظور خاص ، وحتى دمشق هذه - ونستثنى تلك
الصور الاصيلية التي نوه عنها الشاعر لدمشق الوطن
والعروب - لم تستطع أن تنتقل لنا ذات الشاعر الذي تلهي
بالشكل الشعري عن التوفر على اجادة المضمون . ولا
استثنى من هذا الحكم الاخير غير قصيدته / تحت المطر /
التي تعد برغم هئات سنذكرها بعد - قصيدة حديثة شكلا

الديوان الذي أحاول الحديث عنه في هذه الاسطر هو
آخر ما صدر للشاعر اسماعيل عامود ، وقد سبق له اصدار
ثلاثة دواوين أخرى / من اغاني الرحيل - كاية - التمسك
والمطر / وبرغم أنني لم أقرأ هذه الدواوين الثلاثة كلها فأنني
أستطيع القول - دون تجن - ان هذا الشاعر ينحت من
صخر ، ليس على الطريقة الاموية في النحت ، وانسا على
الطريقة المعاصرة ، فهو يريد - كما أرى - أن يكون
شاعرا ، وأن يطلق الناس عليه هذا اللقب . وقد يكون
كذلك في رأي آخرين - اذ هو عضو في لجنة شعر في هذا
القطر - ، غير أنه عندي كاتب وبهجة ان توفر على هذا
العمل ببجده وثقافته اللتين أعرفه بهما - ولا أنكر هنا
ان له لغزات شعرية جميلة ، فيها روح شاعرية حلوة الوقع
في نفس قارئها ، ولكن ذلك لا يمنعني من قول ما ذكرت ،
اذ ليس هناك - كما يقول النقاد - شعر بل هناك شاعر .
شعر الديوان الذي نقرؤه اليوم شعر حديث ،
وللشاعر منظومات على الاوزان الخليلية أكثر اجادة من
شعر هذا الديوان / انظر قصيدته : دمشق - مجلة الثقافة
السورية - العدد ١٢ - ١٩٧٥ / ، غير أن عدوى (العادة)

ومضمونا ، اذ استطاع الشاعر فيها تجميد لحظة زمنية
وتصويرها لنا تصويرا جميلا ، تبدأ القصيدة بهذا المطلع
الهموس :

صديقتي ، تساقط المطر

وليس في مواعدي حطب

وليس في لهاتنا غنام

يقيء في دماننا الضجر

— تساقط المطر —

وقطنا ينام في العراء

يقرر الحكاية الرتيبة

— وبلدتني فتيرة كثيبة —

ثم يتعالى هذا الهمس الى أن يصير صوتا مؤثرا فاعلا
حين يسم الصورة على الوطن وما فيه دون أن يفقد قدرته
على تغذية هذه المفارقة التصويرية بين (قطه) الذي ينام
في العراء من جهة ، وبين وطنه اذي غدا ذليل السمات يلفه
الضياع :

وقررتي ، صديقتي —

ذليلة السمات

تجزها أسنة الغزاة

فترتمي ، جريحة الكرامة

رخيصة ، يبيهاها الطفاة

وينزل المطر

وينزل المطر

وبعد / تحت المطر / هذه يبقى (قط) الديوان
ينام في العراء وهو يقرر الحكاية الرتيبة وحده ضمن
تلك البلدة الفتيرة الكثيبة . وللمي لا اجاوز الحقيقة
اذا قلت ان كثيرا من الشعراء المحدثين في سورية قد اسأؤوا
الى الشعر الحديث ، بل لانهم يودون — في هذا القطر — ان
يتسربلوا بسر بال العداة الدماء ، ولانهم — اذا لم يفعلوا
هذا — كانوا في انظار حماة هذا اللون تقليديين فاتزمانهم
وهم يخافون هذا الفوت لاسباب كثيرة . وليس معنى هذا
ان شاعرنا احدهم ولكن رذاذ اسطوره اصابه في «لاواعيته»
فانجز الى صنيمهم في جزء من انتاجه ، يدلنا على ذلك
كثرة الملاحظ الفنية والشكلية الماغودة على « قصائد النثر »
/للارسنة البالية/ التي احتلت القسم الرابع من الديوان .

٧

الشعر الحديث في هذا الديوان يقسميه الشعري
والنثري ، يفتقر الى روية وتأن قبل خروجه الى الناس ،
فقد يلحظ ناقد مولع بالتحليل النفسي كثرة الفاظ
« الجنس » في قصائد الديوان ، فيعزو الامر الى « ليبيدية
نرجسية » / قد يستعير لها « المرحلة الفنية » كما هي عند

فرويد ، اذ يكثر كاتبنا من اللجوء الى لفظة « الندي »
خاصة . . . لاحظ ذلك في الاسئلة التي سترد بعد / تلح
هذه الالفاظ في « لاشعور » الكاتب ، وتجد مسربا لها
من خلال كلماته . ولا شك ان هذا الناقد لن يقدم شواهد
شعرية كثيرة تزيد رايه من نحو « تمسك ثديها المنفوخ
ترضمني بلا ثمن — ص ١١ » / « ولها نهد كالاجراس —
تعطيه هدايا للعراس — ولها فخذ مفتول اشقر — تهديه
جزافا للمسكر — من اجل رفاء، او اكثر — ص ٥٦ — ٥٧ »
على أننا كيلا نظلم الكاتب نمزو ذلك الى محاولته « تقليد »
مدعي الشعر الحديث ممن كثرت عندهم نوازع الجنس ،
يدلني على ذلك كثرة الفاظ « الجنس » في قصائد النثر
من هذا الديوان دون القصائد الاخرى ، لان بناء قصائد
النثر أشهل [ان كان لها بناء متعارف عليه] ، ومجال
التقليد فيها ايسر لعدم وجود ضوابط في رأي اصحابها
لبنائها بناء شعريا فنيا . . . نلحظ هذه الالفاظ في قصائده
(تسكع في الظهرة) في مرقص العتمة — على وصف المدينة)
وهي نصف قصائد النثر ، ونلحظ فيها ايضا اممنا في
هذه الالفاظ ، فقد كان الكاتب يستعمل لفظة أو الفاظا
قليلة فاذا هو يتنداح الى جمل طويلة ممتدة على النحو
التالي :

— في قصيدة / تسكع في الظهرة / :

« كم رغبتم لو داعبت تهذيبك البارعين في الزواريب
المنسية كهوتي » « فغذا راشيل بنصف دولار يضاجعنا بلا
عطور » — ص ٨٩ -

— في قصيدة / في مرقص العتمة / :

« كيف لي ان اقلنك ايها الاراداف المراوغة ؟ /
كنت الملح جوعك للانداء المكورة بالعليب — في ذكريات
الطفل اليتيم / بينما تجوس افكاراى النائرة كل كشح
بض ، — كل نهد بلا اقفاص — ص ٩٢ -

— في قصيدة / على رصيف المدينة / :

« أندثر في ابطك ، وأنتفخ قبأبا فوق أضلاعك في
— الصدر انتخب — اكون يتسلمني حلميتك الواجعتين
باستمرار — في تسكمي المرح اصمر التكايا للفاجرات —
اسلبن حتى الوله بالزينة — اتقنى المؤخرات الهزاهزة ،
واسير رصيفا / لكنني شاعر يمشق انسياب الاقاضي في
منحدرات النهد البطر / وربما رجعت لثدييك الملبين
باللبن المستورد — من الشرق — ص ٩٨ -



وايضا فالشعر الحديث في هذا الديوان لا يهتم كثيرا
باللغة العربية لا من حيث الاستعمال النحوي / احيانا
قليلة لاحظ (شبايبكا — القلوبنا — نلكوء — مرمرتمو —

لاختم - شام - الذي أنا - يا الذي كنت - تأكيد) ، ولا من حيث استعمال العامية (لاحظ : الفمقية : يتجسرون - المرفضة - الزواريب - قفاما - القياقيب - الهزاهزة - مفلوشا - طرايش - لهاني) *

كما أن كاتبنا ينجح في اهلل جملته الى تقريرية في الاسلوب مبتذلة كقول في قصيدته / تسكع في الظهرة / - [بودي لو اقشرك كالبصلة - والطامون ياكل بلاغسة الاراداف في طريق القصاع وارسفة شارع الصالحية الكابية] *

ويشتم الى هذه التقريرية زركشة العنوانات ، وخطابية كثير من الجمل ، واضطراب الوزن في بعض الاشطر (لاحظ : هويتك فوق الصمني) ، والانتقال المفاجئ من ضمير الى اخر مما ينفخ الاذن موسيقيا من نحو انتقاله من ضمير المتكلم الى ضمير المخاطبين ثم العودة الى ضمير المتكلم : [وتحن يا غريبتي يلفنا شام / وليس في موافدي شام / وليس في اكفنا ذهب] *

ويشتم آخر يتعاون فيه شاعرا مع آخرين هو تعويد الاذن على « الخلط » بين الاشطر الشعرية في ترتيب تفعيل القصيدة ، ويكفي لذلك أن نضع الى هذين الشطرين اللذين يعدهما الشاعر بيتا من الخفيف لتدرك مدى ضرورة ابتعاد الشعراء عن اللجوء الى مثل هذا الصنيع :

حملتني الدروب في مهمة التيه

فطاشت مع الدروب شؤوني

وعلى أية حال فإن هذه الملاحظة الاخيرة بحاجة الى مزيد من التفصيل لا تتبعه لنا محدودية الصفحات ، غير أننا لا نعدم الاشارة الا ان هذه الملاحظة هي التي جعلت بناء جمل كاتبنا « هشة » ، وبالتالي كانت هوية القصيدة الحديثة مفقودة عنده كما هي مفقودة عند غالبية الشعراء المعديين - فبناء الجملة الشعرية خاصة يحتاج من الشاعر الى شيئين يتلاحمان معا ، هما صوغ الجملة وابتاعها *

اما صوغ الجملة فيتأثر بما ذكرنا من ملاحظ / تقريرية الانفاظ - الانظام اللغوية والنحوية - العامية / اضافة الى تلك الروابط النحوية التي تقوم بوظيفة الدالة بين جملة وأخرى ، مما يوضح نقاط الالتقاء والتنايد في الصياغة كلها. ثم عن هذا الصوغ يتولد « الإيقاع الصوتي » وهو - في الشعر الحديث - ابتاع داخلي يشمل القصيدة من بدايتها الى نهايتها ، وفائدته أنه يضع القارئ في وضع « حسي وتجريدي » ينشأ معه معادل فكري - أراداه الشاعر - يعد بدلا عن الواقع الذي رآه الشاعر وطمح الى تصويره كما يحلو له ، سواء أراد تغييره وتعديله أو السير به نحو المفارقة التصويرية *

هذا البناء ، أو هذا الصوغ الشعري للجملة نفتقده تماما في شعر « اسماعيل عامود » ، والا كيف تستطيع جملة من نحو : « بودي لو اقشرك كالبصلة » أن تكون جملة شعرية وقد توافرت عليها العامية من جميع اطرافها ، ولبتها كانت عامية منتقاة غير مستهلكة في شوارع الصالحية ، اذ اللغة رموز شفوية تستمد شخائنها القوية في الشعر الحديث من الدقة في الانتقام ، ومن الذي التصاعد التدريجي في التراكيب * ولعل معظم رواد الشعر الحديث كانوا يرددون هذا ادراكا واعيا ولهذا فقد كانوا يقولون ان لغة الشعر الحديث فتح جديد في عالم العربية *

ثم : بناء القصيدة عند « اسماعيل » بناء ضائع ، فلم أستطيع تمييز شكل واحد اختاره لنفسه * ولا أحب أن اظلمه هنا ، فما زال الشعر الحديث كله يطمح الى بناء شعري متعارف عليه ، نستطيع تدريسه وتلقينه وتدوين ضوابط له يستهدي بها ناشئة القول * لهذا كان بناء القصيدة الحديثة - حتى الآن - بناء ليئا متحركا ، يتخذ شكلا هرميا متصاعدا ، أو ناميا ، سواء اتخذ قاعدته من الإيقاع الموسيقي الكلاسيكي القديم أو الجديد ، أو شكلا لولبيا تتسع دوائره كلما صعدت الى الاعلى على عكس الشكل الهرمي تماما * وبرغم هذا لم أجد في قصائد الديوان قصيدتين تمتحان من شكل واحد عدا القصائد التي لبست لبوس الشعر الغليلي فتلك لا تتعدت عنها ضمن حديثنا عن الشعر الحديث *

واذا كان لا بد لنا من التذكير بأن بناء القصيدة له علاقة وثقى بمضمونها ، فاننا نحيل الى الملح البارز في مضامين الديوان دون أن نذكره بفقدان تلك النظرة الشمولية أو ذلك الموقف من الوجود وموجوداته مما يشكل مضمونا انسانيا يتلاقى - بعد أن أفرغ فيه الشاعر - جزئياته - مع تجارب كل شاعر صدق التعبير عن نفسه * وان أردنا مرة ثانية ألا ننظم كاتبنا فذكرنا له - ضمن النظرة الشمولية - ذلك الاحساس الدقيق بالحياة والناس (النظرة الشمولية قد تكون موقفا فكريا أو احساسا دقيقا بالحياة والوجود والناس) ، واعتبرنا أن ذلك هو احساسه الداخلي الذي صدق التعبير عنه (التسكع ...) فاننا نغالبه فيه كما ذكرنا في بداية حديثنا ، وان كنا لانرفضه له. ولا نقره عليه *

وبعد فليس هناك شعر ، بل هناك شاعر ، وإذا كنت لم أر في « اسماعيل عامود » شاعرا محدثا للتقنيات التي ذكرتها ، فأنني أرجو أن يكون في دواوينه التي لم أقرأها قد كذب رؤيتي وصدق قراءه في كونه شاعرا *

سهر دويحي الفيصل - حمص

محتويات العدد

رئيس التحرير	١	سكت الهزار
الدكتور عبد الحميد يونس	٢	الثقافة والتكامل القومي
عبد العزيز الربيعي	٩	القطنة عند العربي
ترجمة : حسن بسام	١٢	التواحسة
بدوي الجبل	١٧	تلك واحاتنا
أمين نخلة	١٩	شفة
نجم الدين الصالح	٢٠	اتباع ما قاله الاقحوان
ماجد خير بك	٢١	زهرة
محمد منذر لطفني	٢٢	باتمة الهوى
أنور الجندي	٢٣	حوار
علي عيد حسن	٢٤	غدا تحرين
محمد مصطفى درويش	٢٥	أنا وانت
مصطفى عكرمة	٢٦	انتظار
مسعود جوني	٢٧	عينك شعر
هاشم موصلي	٢٨	حفيدتي
رضا رجب	٢٩	ضباب الوادي العميق
مأمون مورللي	٣١	عبر الصمت
اسماعيل عامود	٣٢	مواعيد
أحمد دوغان	٣٣	ابن العميد
مددوح والي	٣٧	زائرة الليل
ابراهيم صابور	٣٩	عروة بن الورد
منذر العياشي	٤٧	ولادة

● مع الكتب

أمينة العدواني	٤٩	المطر الرمادي
----------------	----	---------------

● مع الاداب العالمية

ريم تشون تشو	٥١	أول أيار الذي لا ينسى
مددوح زكي	٥٤	على مسرح الحياة
	٥٨	نافذة على العالم
	٦٠	رسائل الاصدقا
سحر روجي الفيصل	٦٢	نقدات عابرة

طالوا كل اسبوع

مجلة

الثقافة إلى لبو عينة

مجلة فكرية جامعية تصدر في دمشق

مجلة الجيل الصاعد والادب الرفيع والفكر النير

تصدر كل يوم سبت

عن

دار «الثقافة» في دمشق